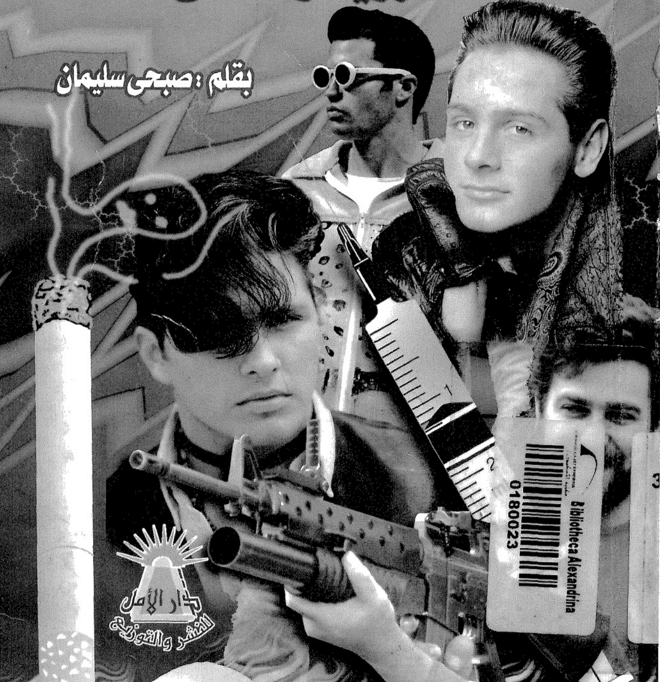
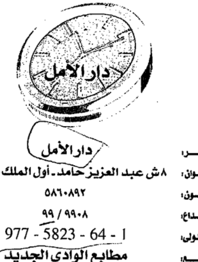
الشباب والخطر
الرؤية والعلاج

بقلم: صبحي سليمان



الشباب والخطر

الرؤية والعلاج



الناشـــر: دار الأمل
العنــوان: ٨ ش عبد العزيز حامد - أول الملك فيصل
تليفــون: ٥٨٦٠٨٩٢
رقم الإيداع: ٩٩٩٠٨ / ٩٩
الترقيم الدولى: 977 - 5823 - 64 - 1
طبــع: مطابع الوادى الجديد
العنــوان: دار السلام

غـــلاف: مجدى الطويل
جمع تصويرى: أرمس للكمبيوتر
العنــوان: ٣٢ ش على عبد اللطيف - مجلس الشعب
تليفــون: ٧٩٦٤٤٠٤
الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م

الشباب والخطر

الرؤية والعلاج

بقلم/ صبحى سليمان

دار الأمـــــل

للنشر والتوزيع

العنوان : ٨ شارع عبد العزيز حامد ـ أول الملك فيصل ـ جيزة .. ت: ٥٨٦٠٨٩٢

مقدمة

الإرهاب ... الانحراف

لفظان خطيران حيرا الكثير والكثير، وشغلا عقولهم لسنين وسنين ، كى يجدوا لهما الحلول السليمة التى تخرج بالشباب العربى من متاهة الإرهاب ومن تشتت الانحراف .

الإرهاب حير الكثير وقتل الملايين ، وجعل منهم كبش فداء كى يُحطموا المصابيح المضاءة المتناثرة على طريق الحق ..

والانحراف ... شبح كبير يقتل ويُدمر الشباب ويُهدر من طاقاتهم ، وجعل منهم أضحوكة العالم الذى كان ينظر إلينا بانبهار .

وبسبب الظلام الذى ينشره الإرهاب ، والخراب الذى ينشره الانحراف هُنا وهُناك ، جاء هذا الكتاب كى يفرق بينهما ويقتلهما فى عُقر دارهما .

الإرهاب .. الانحراف

كلمتان يعتبرهما البعض مترادفتان أى: أن إحداهما تُعبر عن الأُخرى بالرغم من أنه يوجد اختلاف كبير بينهما .

فالإرهاب : هو تمسك فرد أو طائفة ببعض المعتقدات والأفكار هى فى ذاتها أفكار ومعتقدات سامية ونبيلة إلا أنه بسبب التمسك المتشدد لها ، فإنها تُعتبر مكروهة ومرفوضة بالنسبة للمجتمعات ، فمثلاً النازية فى ألمانيا، فنجد أن فكرة العرق السامى، يُفضلها البعض وهى ليست مرفوضة فى كثير من المجتمعات ، فمثلاً نحن فى مجتمعنا الشرقى يتباهى ويتفاخر البعض بالحسب والنسب ، وهذا ليس شيئًا مشينًا فى حد ذاته، ولكن

التمسك والتشدد في ذلك الأمر هو ما يُعتبر مرفوضًا ، ولهذا عندما ظهر هتلر ، وتمسك بعرقه السامى على البشر ، كرهته البشرية وحاربته ؛ ذلك لأنهم أعتبروه إرهابياً ... وهذا ما نجده فى وطننا العربى ، وذلك عندما أعلن البعض تمسكهم بالقيم والأخلاق الدينية التى نزل بها رسولنا الكريم محمد ابن عبد الله ﷺ وأحب الكثيرون ذلك ؛ لأنها فكرة جميلة وسامية ويتمناها كُل مُسلم .. أما عندما بدأ البعض فى التشدد بهذه الأفكار، بدأ البعض الآخر يرفض الفكرة ويكرهها ، وهذا ما جعل أصحاب الفكرة الأصلية يتمسكون أكثر فأكثر، فانقلبوا ضدهم واعتبروهم مرتدين عن الدين وكفرة... هذا على الرغم من أن الأساس الذى يتخذه الكثير منهم هو .. «أن اختلاف الرأى لا يُفسد للود قضية».. إلا أنه بدأ التمسك والتشدد، فتحول الحلم الإسلامى الكبير ، إلى كابوس كبير.. حيث بدأت الكراهية تدب بين المُسلمين، وانقلب بعضهم على بعض، وساد الفساد بينهما حين أباح أصحاب الفكرة الإسلامية قتل المُسلمين باعتبارهم كفرة ومرتدين، ولم نربح نحن سوى فساد صورة الإسلام أمام الغرب ، هذا بخلاف تفكك صفوفه الداخلية ؛ لأن الشاب المُسلم أصبح حائراً بين هذه الطوائف الكثيرة المُنشقة، وأصبح لا يرى سوى الأفكار الغربية المنحلة ؛ذلك لأنه يرى المُسلمين على خلاف دائم، بينما يرى الغرب على وفاق... ولهذا فإنه ينتمى بفكره إلى الغرب ويترك الخلافات الإسلامية لأصحابها... ومن هُنا يبدأ الشاب فى الانحراف .

والانحراف : هو تمسك فرد أو طائفة ببعض المعتقدات والأفكار هى فى ذاتها أفكار ومعتقدات خاطئة وقذرة ، وصاحبها يعرف ذلك، إلا أنه يتمسك بها ويتشدد ، وبسبب ذلك فإنها تُعتبر مكروهة ومرفوضة بالنسبة

للمجتُمعات . . فمثلاً تجارة السلاح هي تجارة يعرف الجميع أنها قذرة وخاطئة ، ولكن تقوم بها طوائف كثيرة لتبغى من ورائها المكاسب المادية الكثيرة حتى ولو كانت على حساب أرواح ملايين الأبرياء .

أما بالنسبة للفرد . . فالانحراف يتفشى فى فترة الشباب عندما لا يجد الشاب القدوة والمثل الأعلى، ولهذا تجده يتجه مباشرة إلى تعاطى المخدرات ، أو قد يلجأ إلى شيء آخر إذا كان فقيراً وهو السرقة والقتل ؛ وذلك لأنه يشكو من الفقر ، أو لأنه يشعر بالوحدة القاتلة فيُقبل على عمل قوى يجعله في قرارة نفسه قوياً وعظيماً وبسبب ذلك قد يتلذذ بالسرقة والقتل .

أو أن يتجه إلى شيء آخر وهو النساء ، ففي البداية قد . . يُحب ، ويلجأ إلى أول فتاة تُعجبه ، ويُلقى بدلو حُبه إليها ، ولكن يُصدم عند أول عقبة تُقابله ولهذا يلجأ إلى الانتحار ، أو أن تمر عليه هذه الصدمة بأثر نفسى تجعله يتودد إلى أى فتاة تُقابله كى تُعجب به وتُسلمه نفسها ، فيلتهمها وبعد ذلك يتركها ليتلذذ بأُخرى . . أو . . أو . . إلخ . . وبسبب تلك الانحرافات تضيع طاقات الشباب وتخسر المجتمعات الكثير .

وبالنسبة لمجتمعنا العربى ، فنجد أن الشاب يكون حائراً بين الإرهاب والانحراف . . وكثيراً ما يلجأ إلى الوسطية بينهما ، فتارة يلجأ إلى الانحراف وتارة إلى الإرهاب .

ومن هُنا نجد أن الشباب العربى مُنشق ولا يجد الطريق السليم الذى يتجه إليه .

الإرهاب . . والانحراف . . ليسا وليدا اليوم ولكن لهما جذور عميقة وعتيقة مُنذ الأزل ، ففى بداية الخليقة أرهب «قابيل» «هابيل» وقال له :

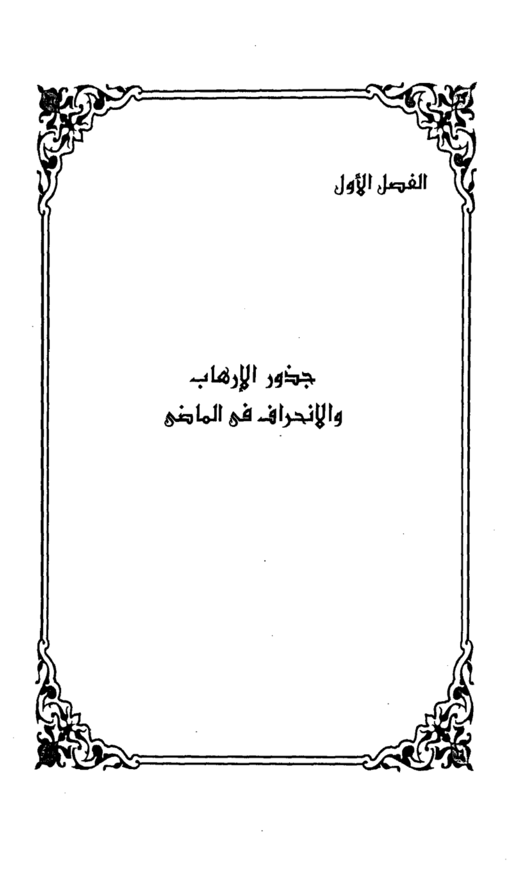
ـ سأقتلك .

ولكن هابيل قال له :

ـ لئن مددت إليَّ يدك لتقتلنى فلن أمدد إليك يدى لأقتلك .

ولكن حدثت أول جريمة على سطح الأرض حيث قتل «قابيل» أخاه «هابيل» .. وقصة قابيل وهابيل تُعتبر من أبسط قصص الإرهاب .

★★★



الفصل الأول

جذور الإرهاب
والانحراف في الماضي

الإرهاب القديم

عرَّفت الموسوعة البريطانية الإرهاب بأنه:

الاستخدام المُنتظم للرعب أو العُنف الذى لا يمكن التكهن به ضد الحكومات والجمهور أو الأشخاص لتحقيق هدف سياسى ».

وتُشير الموسوعة البريطانية أيضاً إلى أن الإرهاب استُخدم على مر العصور، وفى مُختلف أنحاء العالم خصوصاً فى اليونان حوالى عام ٣٤٩ ق.م، وروما فى حدود ٣٧م. والحقيقة المؤكدة أن الإرهاب لا زمان له، عرفته القرون قرناً بعد قرن وتوارثته الأجيال جيلاً بعد جيل .

والإرهاب لا مكان له فقد عرفته جماعات تنتمى إلى الديانات القديمة، والحضارات السابقة والفلسفات العتيقة ، وربما يُغالى البعض فيرى أن إخناتون كان مُتطرفاً بمعايير ذلك الزمان حينما نادى بوحدانية الله، وخرج على مألوف قومه وعاداتهم ومعتقداتهم .

ورُبما كان السُفسطائيون فى اليونان متطرفى عصرهم حيث كانوا يُجيدون الدفاع عن القضية ونقيضها .

وظهرت حركات التطرف فى جماعات تنتمى إلى الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية بعد ذلك .

الانحراف فى العصر الجاهلى

تُعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب فى الجاهلية ؛ ذلك لأن القبيلة هى جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مُشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية «الأهل والعشيرة» ، ورابطة العصبية هى شعور التماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم ، وهى على هذا النحو مصدر القوة السياسية والدفاعية التى تربط بين أفراد القبيلة ، وتُعادل فى وقتنا الحاضر الشعور القومى عند شعب من الشعوب ، وإن كانت رابطة الدم فيها أقوى ، وأوضح من الرابطة القومية ؛ لأن العصبية تدعو إلى نُصرة الفرد لأبناء قبيلته ظالمين كانوا أم مظلومين . وتقوم العصبية على النسب ، وهى لذلك تختلف باختلاف الالتحام بالأنساب .

وعلى هذا النحو لم تكن للمجتمع الجاهلى نزعة قومية شاملة ؛ لأن الوعى السياسى فيه كان ضيقاً محدوداً لا يتجاوز حدود القبيلة أو حدود القبائل المنتمية إلى الجد . وهكذا كان المُجتمع العربى فى الجاهلية مُجتمعاً مفتتاً من الناحية السياسية إلى وحدات سياسية متعددة قائمة بذاتها تُمثل القبائل المُختلفة .

والقبيلة فى البادية دولة صغيرة تنطبق عليها مقومات الدولة باستثناء الأرض الثابتة التى تُحدد منطقة نفوذها .

وكانت حياة القبائل صراعًا دائماً ، والصراع هجوم يتم بقصد الحصول على مزيد من الرزق ، ودفاع يقومون به للحفاظ على وجود القبيلة .

والدفاع والهجوم يتطلبان التكتل والدخول فى أحلاف مع القبائل الأُخرى . ولهذا اعتبر قانون البادية قانون الغاب ، وقوامه : «الحق فى جانب القوة» فمن كان سيفه أقوى كانت له الكلمة والغلبة وكان الحق فى جانبه .

وكان حُب القتال مغروساً في نفوس العرب فى الجاهلية حتى تحول إلى شغف بالسيطرة والغلبة ، ولا يمكن التوصل إلى الحق والسيطرة إلا عن هذا الطريق.

وقد ذهب بعض العرب فى الجاهلية إلى اعتبار البغى هو الطريق الوحيد الذى يصل المرء بواسطته إلى الحق . «فالحق هو القوة أو الحق فى جانب القوة ...» وفى سبيل التوصل إلى الحق استطاب العربى الموت فى ساحة الوغى! ... وازدرى الموت برغم الأنف ، فالميتة الكريمة هى أن يموت الرجل فى ميدان الحرب .

الإرهاب الدينى

ظلت روح الجاهلية مغروسة فى قلب العربى حتى جاء الإسلام فطهَّر قلوبهم منها ، أما الإرهاب القائم على أساس التطرف الدينى ، فيرى بعض الباحثين أنه يرجع فى الإسلام إلى حركة الخوارج التى انبعثت عنها العديد من الحركات المُنشقة التى شهدها التاريخ الإسلامى .

وظهرت حركة الخوارج خلال التحكيم بين أمير المؤمنين «عليٍّ بن أبى طالب» رضى الله عنه وكرم الله وجهه، ومعاوية بن أبى سُفيان عقب موقعة «صفين» عام ٣٧ من الهجرة فقد كفَّر الخوارج «عليَّ بن أبى طالب»؛ لأنه قبل مبدأ التحكيم، كما كفَّروا أبا موسى الأشعرى، وعمرو بن العاص؛ لأنهما قاما بالتحكيم. وقد عامل الخوارج المخالفين لهم من المُسلمين ككفار، بل كانوا يعاملونهم بما هو أقسى من مُعاملة الكفَّار، فلا يرحمون منهم المرأة، ولا الطفل الرضيع، ولا الشيخ المُسن، وقد وصل بهم الحد إلى اعتبار من قال «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» ثُم لم يعمل بفروض الدِّين،

وارتكب الكبائر فإنه كافر، وقد انقسم الخوارج فيما بينهم إلى أكثر من عشرين فرقة كُلٌ منها تُعادى الأُخرى وتختلف معها على أتفه الأسباب ، وهذه الفرق كثيرة ومتشعبة ولكننا سنذكر أشهرها وهى كما يلى :ـ

الأزارقة؛ وهم أتباع نافع بن الأزرق الذى كان من أكبر فقهائهم ، وهو يرى أن جميع المُسلمين كفار ماعدا «الأزارقة» أنفسهم، ولا يقبلون من الناس إلا الدخول فى عقيدتهم أو السيف. ويستحلون قتل أطفالهم ونسائهم؛ إذ أنهم كانوا يعتقدون أن أطفال مخالفيهم مشركون وأنهم مخلدون فى النار .

اليزيدية؛ وهم أتباع يزيد بن أنيسة الخارجى، وقد ادعى أن الله سبحانه وتعالى سيبعث رسولاً من العجم، ويُنزل عليهم كتاباً ينسخ الشريعة المُحمدية .

النجدات؛وهم أتباع ميمون العجرودى ، وقد أباح الزواج من بنات الأولاد وبنات أولاد الإخوة والأخوات كما أنكر سورة «يوسف» ، ولم يعدها من القُرآن؛ وذلك لأنها قصة غرام لا يصح أن تنُسب إلى الله .

وإذا كانت تلك مُجرد نماذج من أفكار الخوارج ومُعتقداتهم ، فقد تمادوا فى غلوهم إلى حدود ممقوتة ، وارتكبوا باسم مبادئهم أعمال القتل للنساء والأطفال والشيوخ المسالمين ، والعُزَّل ، كما استباحوا أموال المُسلمين.

ومن الطوائف التى انحرفت أيضاً عن تعاليم الإسلام القرامطة

القرامطة؛ هم : أتباع «قرمط» الذى أرسل عبد الله بن ميمون للدعوة لمبادئه فى العراق ، وقد أحل أتباعه من كُل فروض العبادة والتقوى، وأباح لهم النهب، وأمرهم أن يتركوا الصلاة والصوم، وعلمهم أنه لا فريضة عليهم، وأن لهم أن ينهبوا أموال خصومهم، وأن يسفكوا دماءهم.

وقد تحول القرامطة بعد ذلك إلى عصابة من السفاكين والأشقياء تقتل خصومها وتستحل أموالهم وأعراضهم، وتنشر الدمار والرُّعب فيما حولها ، حتى وصلوا إلى مكة واقتحموا البيت الحرام ونزعوا كسوته واقتلعوا الحجر الأسود، حيث بقى فى حوزتهم ما يزيد على عشرين عاماً .

وهكذا يتضح لنا أن الإرهاب الذى تشهده الساحة الإسلامية الآن، والذى يقوم على آراء وأفكار دينية متطرفة ، له جذوره التاريخية فى فكر وسلوك الجماعات المتطرفة والمنحرفة فى التاريخ الإسلامى .

وأيضاً نجد أن الانحراف مُشكلة قديمة، وتتواجد فى جميع المُجتمعات لتنشر فيها الفساد، وتُدمر طاقات الشباب، فقديماً نجد أن الخمر كانت مباحة وليست حراماً قبل نزول الإسلام، وكانت شُغل الشباب الشاغل، هذا بخلاف بيوت الزنا أو الرايات الحُمر والتى كانت مُنتشرة فى شتى أرجاء الجزيرة العربية، والآن نجد أن الانحرافات القديمة ما تزال موجودة وما زالت تغوى الشباب ، وتُضيع طاقاته البناءة فى لهو ولعب لا يُشمن ولا يُغنى من جوع.

★★★



الفصل الثاني

الشخصية الإنسانية ومكوناتها

الطفل الصغير ..

ذلك المخلوق اللطيف الرقيق ..

ذلك الملاك الصغير .. كيف له أن يُصبح مُجرماً كبيراً فى يوم من الأيام ؟

كيف لطفل برئ يحمل كُل معانى البراءة بين جنبيه أن يُصبح بعد أعوام قليلة قاتلا وسفاك دماء ؟!

كيف لبراءة الأطفال أن تتحول لبشاعة فى يوم ما ؟!

وهُنا يتبادر على الأذهان سؤال مهم وهو :

- هل الإنسان مُجرم بطبيعته ؟!

ويجب قبل أن نُجيب على هذا السؤال الصعب أن نفهم أولاً مفهوم الطبيعة الإنسانية ؛ ذلك لأن معرفة مكونات الطبيعة الإنسانية ، هى التى تستطيع أن تُحدد لنا المفهوم المتكامل للشخصية الإنسانية ، وقد نُجيب على ذلك السؤال إذا علمنا أنه مهما يكن من شأن السمات التى تؤلف الطبيعة الإنسانية ، فإن من أبرزها قابلية الإنسان للتغير والمرونة تجاه الظروف الاجتماعية والثقافية التى ينمو فيها ويتفاعل معها . ومعنى ذلك أن ما يتعلمه الفرد سيكون له تأثير واضح على سلوكه ، بل ويُحدد نمط شخصيته ، وأسلوب حياته ، أى طريقته الخاصة فى معالجة أموره ، وفى كيفية التصرف فى المواقف المُختلفة وفى حل مشاكله ، وفى تعامله مع الناس ..

إن الإنسان يولد مزوّداً ببعض الإمكانيات والقدرات ، تُظهرها وتُبلورها العوامل والمنبهات البيئية المُختلفة . فالطفل نتيجة احتكاكه وتفاعله

بمجتمع الأُسرة والكبار المُحيطين به يكتسب الكثير من العادات والاتجاهات والقيم، وأنماطا سلوكية مُعينة؛ حتى يحقق لنفسه التكيف مع الإطار الاجتماعى والثقافى الذى يعيش فيه ويتفاعل معه وحتى يشعر أنه قد أصبح عضواً إيجابيًّا فعالاً فى الجماعة . ومعنى ذلك أن عملية التطبع الاجتماعى والتى بها يُصبح الإنسان فرداً فى جماعة ، هى عبارة عن عملية يحاول أن يتلاءم بفضلها مع الثقافة التى تحيط به، ويتمثل منها جزءاً جوهرياً، كُل ذلك يجب أن يُنظر إليه على أنه إحدى الخصائص الأساسية للطبيعة الإنسانية .

ومن هُنا نستطيع أن نُقرر أن الشخصية الإنسانية هى مُحصلة ذلك التفاعل المُستمر بين طبيعة الإنسان وبين العوامل الاجتماعية والثقافية والبيئية المُختلفة، ولذلك فأهم جوانب الشخصية الإنسانية وأبرزها وضوحاً هو الجانب الاجتماعى ، وبالرغم من أن اصطلاح «شخصية» قد يبدو من السهولة لدى الكثيرين بحيث يستعملونه بكل بساطة فى الحياة اليومية، ومع ذلك فإن عُلماء النفس لم يتفقوا على وجهة نظر مُشتركة للشخصية ، بل تشعبت الآراء والاتجاهات فى فهم وتحديد الشخصية ، ولذلك ذخرت كُتب علم النفس بالعديد من النظريات التى تتناول دراسة الشخصية فى استوائها وانحرافها ، وفى تحديد طبيعتها.. وقد يجد القارئ فى كُتب سيكولوجية الشخصية أن كثيراً من المفاهيم التى استعملها العُلماء وأصحاب نظريات الشخصية ، قد يكون بينها تشابه أو قد تتقارب فى مضمونها ، ومع ذلك فإنه يصعب عليه أن يُحدد الفروق بين تلك النظريات، ومن ثم قد يتعرض لشىء من البلبلة الفكرية إزاء ذلك الصراع فى تفهم معنى كُل ما يقرؤه وفى تنظيم تفكيره حيال تلك النظريات المتباينة، بل إننا لا نُغالى فى القول بأنه لا يوجد

مصدر مُنظم يقصده القارئ؛ ليدرس فيه الشخصية بطريقة متكاملة الأبعاد، واضحة المفاهيم.

وإنما عليه أن يتفهم جيداً العلاقات القائمة بين وجهات النظر هذه على تشعبها .

وتناول البعض الشخصية على أنها تُبنى على العمليات الفسيولوجية المُختلفة ، أو على شكل الجسم والتركيب البدنى والمظهر العام، أو على أساس وجود خصائص نفسية مُعينة، من ذلك تقسيم الشخصية وفقاً للانطواء أو الانبساط، فيتضمن الانطواء الرغبة فى الانسحاب عن الجماعات، والخجل ، وتفضيل العمل الانفرادى، أما الشخصية المنبسطة ، فتميل إلى العمل الذى يتسم بكثرة التعامل مع الآخرين.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين وجهات النظر المختلفة فى الشخصية ، إلا أنها تُلقى الأضواء على الأبعاد المُختلفة للطبيعة الإنسانية، ولفهم الشخصية وديناميكياتها ، ومقوماتها ، بل إننا نستطيع أن نخلص منها إلى تحديد مفهوم واضح للشخصية الإنسانية، وذلك على النحو التالى :-

«الشخصية هى ذلك المفهوم الذى يصف الفرد من حيث هو وحدة متكاملة من الصفات والمُميزات الجسمية والعقلية والاجتماعية والمزاجية التى تبدو وتظهر فى تعامله وعلاقاته الاجتماعية فى المواقف المُختلفة ، والتى تُميزه عن غيره من الأفراد تمييزاً واضحاً، فهى تشمل دوافع الفرد وعواطفه وميوله واهتماماته وسماته الخُلقية وآراءه ومعتقداته واتجاهاته، كما تشمل عاداته الاجتماعية وذكاءه وقُدراته وميوله ومواهبه الخاصة ومعلوماته ، وما يتخذه من أهداف ومُثل وقيم اجتماعية ومن فلسفة واتجاه فى الحياة » .

ومن هُنا نجد أن الإجابة على السؤال السابق تكون واضحة حيث إننا نجد أن الإنسان لا يولد مُجرماً ، وليس الإجرام من طبيعته ، بل إننا نجد أن الظروف الاجتماعية والمُناخ الذى يعيش فيه الإنسان هى التى تصنع منه المُجرم ، وهى نفسها التى تصنع منه الطبيب والمُهندس السوى ، ونجد أن الشخصية تتميز ببعض السمات الانفعالية والعاطفية ، فنلاحظ مثلاً أن هُناك أشخاصاً يميلون بطبعهم إلى المرح والتفاؤل والاستبشار ، أو إلى الاكتئاب والانقباض ، وآخرين معرضين إلى ارتفاعات وانخفاضات فى حالتهم الانفعالية الغالبة ، ونوعاً آخر يُستثار انفعالياً لأقل الأسباب ، أو يكون رقيق الإحساس والعاطفة وهكذا .

ويستثنى الانفعال تحت تأثير عوامل داخلية أو خارجية ، فمن أمثلة الأولى شعور شخص بألم مفاجئ فى معدته مثلاً .

ومن أمثلة الثانية أن يقع بصر شخص على منظر مُفزع فى حادثة من الحوادث أو أن يتعرض لاعتداء آخر عليه ، فهذه العوامل على اختلافها تُعتبر مُنبهات ، تُثير الانفعال .

وللانفعال أثره فى إبراز الدافع ، فأحياناً يقويه ، كما يحدث فى دافع المقاتلة ، ذلك أن الانفعال المُصاحب لهذا الدافع «الغضب» من شأنه أن يقُويه ويُنشطه . وأحياناً أخُرى نجد أن الانفعال المُتسبب عن موقف ما قد يؤثر فى الدافع فيُضعفه ، كأن يوضع طعام أمام شخص جائع ، وعندما يبدأ الأكل تقع عيناه على منظر تشمئز له نفسه ، كذبابة فى الطعام أو غير ذلك ، وهُنا تقل حدة الدافع الأصلى فيعاف المرء الطعام .

ومعنى ذلك أن الانفعالات تتصل بدوافع السلوك اتصالاً وثيقًا ، حتى إننا نستطيع فى مُعظم الدوافع أن نُميز انفعالاً مُصاحباً لها ، فدافع الهرب مثلاً يصحبه انفعال الخوف، والدافع الجنسى تتصل به الشهوة، ودافع الأمومة يلازمة الحنان .

ولكن ليس من السهل علينا فى الحياة اليومية أن نُميز إلى جانب الدوافع انفعالات بهذا التحديد . هذا إذا نظرنا إلى الدوافع فى ذاتها، أما إذا نظرنا إلى السلوك ، فقد جرت العادة على أن يُقال :

ـ إن هذا السلوك «سلوك مُنفعل» وذلك سلوك «غير مُنفعل» . ويُقصد بذلك : أن الانفعال المُصاحب للأول، انفعال قوى ، فى حين أنه فى الثانى ، انفعال هادئ ، فالحياة النفسية إذن لا يمكن أن تخلو من الانفعال إن كنا بصدد سلوك نتج عن دافع . . أما لماذا نعتبر بعض الاستجابات منفعلة ، بينما نعتبر البعض الآخر غير منُفعل ؟ . . فإن الاستجابات المُنفعلة تنتج عن ظروف مُعينة نذكرها فيما يلى :

١ ـ عندما يكون الدافع قوياً ، فهنا تصحب الاستجابة دائمًا حالة انفعالية، يقوم الكيان العضوى تحت تأثيرها بمجهود مُضاعف لتحقيق الغرض. فقد يشتد دافع الجوع مثلاً فتنتج عن هذا حالة انفعالية تتمثل فى الغضب والقلق والثورة عند تأخر الطعام .

أما فى الظروف التى يكون الجوع فيها مُحتملاً، أو مُحاطًا بظروف تُخفف من حدته، كما يحدث حينما يكون الفرد صائماً أو جالساً فى امتحان ، أو منشغلاً بعمل مهم ، ففى جميع هذه الحالات تقل حدة الدافع ومن ثم لا يُصاحبه انفعال .

٢ ـ عندما تقف عقبة من العقبات فى سبيل تحقيق الدافع ، فإن وجود هذه العقبة تثُير الانفعال. ففى حالة ميل الفرد إلى تملك شيء ما ، إذا كان الحصول على هذا الشيء ميسوراً ، لا تحول دونه أية صعوبة ، فليس ثمة داعٍ إلى وجود انفعال ، وعلى العكس من ذلك إذا اعترضت الصعوبات هذه الرغبة ، فإنه من الضرورى حدوث الانفعال الذى يحمل الفرد على أن يُضاعف مجهوده للحصول على ما يرغبه .

٣ ـ الانفعال فى الحالتين السابقتين من النوع الإيجابى الذى يؤدى إلى تقوية الدافع . غير أنه هُناك فى بعض الحالات الأُخرى انفعال من النوع السلبى ، ومن أمثلة ذلك الانفعال : الشعور بالفرح والغبطة عندما يتحقق الغرض الذى يرمى إليه الدافع على نحوغير منتظر ، وكذلك عندما يزول عائق كان يقف ضد تحقيق الدافع .

والمُهم فى كُل هذه الحالات ، أن الشخصية المتكاملة هى التى يتسم ملوكها وتصرفاتها ودوافعها بالاتزان الانفعالى .

★★★



الفصل الثالث

الإسلام والإرهاب

الغرب وجماعات الإسلام السياسى :

هل الإسلام معناه الإرهاب كما يقول الغرب ؟ وهل يبيح الإسلام الإرهاب كما تقول جماعات الإسلام السياسى؟ إن محاولة الغرب للخلط بين الإرهاب والإسلام أمر يدعو للاستغراب والدهشة، فالإرهاب هو قتل وإصابة وظلم وترويع الأبرياء الذين قد لا يعنيهم من الأمر شيئًا ويقوم به خفافيش الظلام وإلى الظلام يهربون - أما الإسلام فلا يقر الإرهاب مطلقًا، بل يشجبه ويمنعه وحكمه حرام عند الله يعذب فى النار من يمتهنه قال الله تعالى :

﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (سورة المائدة : ٣٢).

وقال : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ (سورة الأنعام : ١٥١)

وقال تعالى فى عدم تحمل إنسان ذنب أو وزر غير : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (سورة الإسراء : ١٥)، وقال جل من قائل :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة:٢).

وقال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ (سورة النحل : ١٢٥، ١٢٦)، وقد أخبر النبى ﷺ بأنه دخلت امرأة النار فى هرة حبستها؛ وينظر فقهاء المسلمين إلى الجرائم الخطيرة التى لها تأثير على أمن المجتمع نظرة خاصة ومن ذلك.

جاء رأى المالكية إلى إعطاء الحاكم حق تعزير القاتل الذى سقط عنه القصاص بالعفو من أولياء المقتول ، وهو عندهم ضرب مائة جلدة وحبس سنة. وربما وصل حد التعزير عندهم إلى القتل ، فنصوا على أنه لا يجوز العفو عن القاتل غلة أى «القتل على وجه المخادعة والحيلة» قالوا : فإن عفا أولياء المقتول، فإن الإمام يقتل القاتل، وهذه العقوبة التعزيرية عند المالكية تصلح أن تتخذ مبدأ لما يُسمى فى لغة الحقوق بالحق العام كُلما نجا المجرمون من العقاب بالعفو عنهم أو تعذر إنزاله بهم وهذا يدل على أن فقهاء المُسلمين الأوائل قد أدركوا خطورة الإرهاب على الأمن والسلام العام، وهم يستمدون ذلك من روح الدستور الإسلامى وشريعة المجتمع وهو القرآن الكريم؛ إذ يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ والواقع أن الصورة الخاطئة المشوهة التى يحملها الغرب عن الإسلام ترجع إلى عدة أسباب :

صورة الإسلام فى الغرب

- إن العالم العربى والإسلامى يمران بمرحلة تحول وإن كثيراً من الصور والتصريحات التى تخرج من العالم الإسلامى بالإضافة إلى تلك النزاعات المتنوعة التى تطفو على سطحه إنما تُسيئ إلى الإسلام والمُسلمين وتعرضهما فى صورة سيئة .

- إن واقع المُسلمين كمجموعة من البشر ليس على أحسن حال، نحن لسنا فى مرحلة نهضة وإنما من الناحية العلمية والاجتماعية هناك آفات كثيرة وتخلف شديد، ونحن لا نستطيع أن نقنع الناس بعقيدة أو مذهب إذا كانت أوضاعنا لا تجعل منا القدوة الحسنة والطيبة .

ـ وجود حملة تشويه متعمدة ضد الإسلام والمسلمين ؛ لأن الإسلام الداعى للنهضة إذا ساءت مفاهيمه فمعنى ذلك أن يتقلص نفوذ الآخرين ولا شك أن الصراع العربى الإسرائيلى كانت له آثار سلبية فالاتحاد السوفيتى كان يؤازر العرب بعض الوقت، والولايات المتحدة الأمريكية كانت تؤازر إسرائيل كل الوقت، فكانت النتيجة أن وُضِعَ العرب والمسلمون فى خانة الخصوم بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ووضعت الصهيونية العالمية فى خانة الأصدقاء ولكن .. ماذا يمكن للمسلمين أن يفعلوا لتغيير هذه الصورة المشوهة وعرض صورة صحيحة ودقيقة عن الإسلام ؟ إن المطلوب هنا هو الدخول فى حوار متكافئ وموضوعى تعرض فيه الحقائق أما القضايا الأساسية التى يجب على المسلمين التركيز عليها لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام فهى :

١ ـ مفهوم الإسلام الواضح والصريح للإنسان وحقوق الفرد : فعلى المسلمين أن يبينوا أن الإسلام قد كرم الإنسان واعتبره خليفة الله على الأرض ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ كما أن الإسلام لا يتصور أن يقتل الإنسان عمداً وهذا التكريم فيه محافظة على حق الحياة وحق الاعتقاد قال تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ و ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ كما أن هناك احتراماً لقيمة الإنسان وعقيدته ولحريته فى التعبير والشهادة قال تعالى: ﴿ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ ﴾ و ﴿ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ .

٢ ـ موقف الإسلام من غير المسلمين : على المسلمين أن يبينوا للغرب موقف الإسلام من غير المسلمين وهذا الموقف تحكمه قاعدة (لهم مالنا وعليهم ما علينا) فكيف يتصور أحد أن يقف المسلمون من غير المسلمين من أهل الكتاب موقفاً آخر والقرآن يتحدث عن أهل الكتاب وفضلهم، (يرحم

الله أخي موسى، أوذى كما أوذيت فصبر) إن موسى مذكور فى القرآن أكثر من محمد ـ عليه السلام ـ وعيسى مذكور فى القرآن وله سورة باسم أمه مريم البتول العذراء. إذًا لا يتصور أن يعامل المسلمون غير المسلمين غير هذه المعاملة، لكن التاريخ تاريخ بشر وليس تاريخ عقيدة، البشر يظلمون ويعدلون ولا يخلو التاريخ من مظالم ، وهل خلا تاريخ العالم المسيحى من مظالم .

٣ ـ النظام السياسى فى الإسلام: على المسلمين أن يشرحوا للغرب ما هو النظام السياسى فى الإسلام هذا نظام يقوم على الشورى قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وشرعية الحكم تستند إلى رضا المحكومين وكان محمد عبده رحمه الله يقول: تصرف الواحد فى المجموع ممنوع: «وما كان أحد أكثر مشورة من رسول الله ﷺ وقد تقررت مسئولية الحاكم فى قوله ﷺ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» .

أما عن الحركات الأصولية وتأثيرها فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين فى الغرب، فى الواقع أن هذه التسمية تسمية تعيسة، والأصوليون هم إما علماء أصول الدين أو أصول الفقه والمقصود بهذه التسمية المنتشرة حالياً هو الحديث عن جماعة المتطرفين يمكن تسميتهم بالغاضبين أو المتشنجين أو الخائفين المسيئين للظن ، والذين ينادون بالعزلة وهم لا تتجاوز أبصارهم محال إقامتهم وينسون أن الرسول ﷺ جاء رحمة للعالمين ، وأنه كان هيناً ليناً بساماً وكان أرق الناس ، وأنه قال: إن الرفق ما دخل فى شيء إلا زانه وأن المسلم يجب ألا يرى عيوب الناس ونقائصهم، وحسبه أن يشغله عيبه عن عيوب الناس، وانتشار ما يُسمى بالحركات الأصولية كما يُسميها الغرب إنما يسيئ إلى المسلمين وإلى الدنيا كُلها، ولو تولى هؤلاء الأمر لضاع الدين والدنيا كلها .



الفصل الرابع

الإرهاب الدولي

الإرهاب الدولى

إن ما شهده القرن التاسع عشر من إرهاب وما ترسب حتى الآن فى القرن العشرين من هذا النهر الأسود ، يدفعنا وكما يدفع الكثير من المتتُبعين والدارسين إلى توقع الحريق الكبير الذى سيندلع فى القرن المُقبل، وبالتالى دق الجرس، لعل الناس يتضامنون ويعملون من أجل تطويق وحصار الخطر القادم، وإنقاذ المُجتمع الإنسانى كُله من مظاهر التطرف الذى يقود إلى الإرهاب .

والتساؤلات التى تطرح نفسها باستمرار مُنذ أن فرضت هذه الظواهر المُرعبة نفسها على المُجتمع الدولى لا سيما خلال العقدين الأخيرين ، هى :

- ما الأسباب التى تُساعد على انتشار الإرهاب بحيث أصبح كظاهرة عالمية؟.

وهل يُقدم شيوعه وتطور ممارساته نحو الأسوأ مؤشراً عملياً قوياً على وجود حالة مرضية متُفاقمة داخل النظام السياسى الدولى ؟

وهل يصح النظر إليها على أنها عرض من أعراض اهتزاز التوازن فى علاقاته، أو على أنها شاهد جديد على ضعف مقدرة هذا النظام على الضبط والتصحيح عندما يكون ذلك لازماً وضرورياً لحفظ استقراره وبخاصة فى ظروف أزمات التغيير التى يمسك بعضها بخناق بعض فى كُل مكان ؟!

والإجابة عن هذه التساؤلات المعقدة تبرزُ من خلال عدة اتجاهات نوضحها فيما يلى :

أولاً : هُناك من يرون أن شيوع الإرهاب الدولى يعكس فى واقع الأمر أزمة

ضمير وأخلاقيات حادة ومستحكمة يعيشها النظام السياسى الدولى ، وهى الأزمة التى يبرز معها التناقض الفاضح بين ما تحض عليه مواثيقه من مبادئ وما تدعو إليه من قيم إنسانية ومثاليات سياسية رفيعة ، وبين ما تنم عنه سلوكياته الفعلية والتى ترقى به إلى مستوى التنكر العام لكل تلك القيم والمثاليات ، ومن هُنا تبرز بعض مُمارسات الإرهاب الدولى ، ليس كعنف مجنون لا وجهة له ولا هدف ، وإنما كصرخة احتجاج مدوية على ما يحمله هذا التناقض الصارخ بين القول والفعل من معان. وهُم يضربون أمثلة أكثر تحديداً عندما ينعون على النظام السياسى الدولى عجزه عن تحقيق المطالب النبيلة والمشروعات للعديد من القوى والحركات الوطنية التى تُناضل ضد القهر الذى تفرضه عليها قوى عالمية تنكر عليها حقها فى تقرير مصيرها ، وتسد كُل قنوات التعبير المشروع ومنافذه أمامها، وتحاول أن تدفع بها إلى الخنوع والاستسلام بقوة الحديد والنار وهى لذلك تجد نفسها مُكرهة على استخدام العُنف الذى تسعى عن طريقه إلى كسر طوق الجمود ، بل والاتفاق الدولى الذى يحيط بقضاياها، وتحريك الضمير الإنسانى فى كُل مكان بلفت انتباهه إلى الفظائع غير الإنسانية التى تتعرض لها دون وازع أو رادع دولى يضع حداً لتلك المُعاناة .

إن العمل الفدائى الفلسطينى كان أكبر مثال على ذلك، حيث تصفه بالإرهاب دائماً تلك القوى التى تحاول بأجهزتها الدعائية الجبارة وبتحكمها فى مراكز اتخاذ القرار داخل المُنظمة العالمية أن تشوه النضال الفلسطينى المشروع وتسلبه دوافعه النبيلة التى يتحرك بها ويعيش عليها .

أما التفسير الآخر الذى يُحاول أن يعثر على السبب وراء شيوع ممارسات الإرهاب الدولى وخاصة الإجرامية وغير الأخلاقية منها، فهو يُشير إلى افتقار

النظام السياسى الدولى إلى الحزم فى الرد على المخالفات والانتهاكات التى تتعرض لها مواثيقه بعقوبات دولية شاملة ورادعة ضد هذا المظهر الأخير من مظاهر العبث ، والتسيب الدولى هو الذى يفتح المجال واسعاً أمام أخطبوط الإرهاب الدولى الذى يجمع فى صفوفه بين القتلة والمحترفين والمرتزقة المأجورين وغيرهم من المُغَرر بهم دينياً أو سياسياً أوعقائدياً ، وتشجيعه على التمادى فى احتقار القانون الدولى ، والاعتداء على سيادة الدول والإساءة إلى حقوقها ومصالحها المشروعة بوسائل تُدينها الأخلاقيات والأعراف الدولية كالتهديد والتشهير والابتزاز والقتل واختطاف الطائرات وتعذيب الرهائن من المدنيين العُزل الأبرياء .. وهلم جرًّا .

إن هذا التخاذل الدولى فى رأى أصحاب هذا التفسير سوف ينتهى بكارثة دولية لا حدود لها .

ولا شك عندى أن هذا الرأى صحيح تماماً ، فالإجرام يزدهر حيث يغيب القانون ، والعُنف ينمو ويستشرى خطره عندما لا يجد من يردعه ويوقفه ، عند حده .

وبالرغم من أن هذه النتيجة الأخيرة منطقية وواقعية لا تحتمل جدلاً أو خلافاً فى الرأى . فإن التساؤل يبقى كما هو : كيف يواجه المُجتمع الدولى الإرهاب وكيف يُردِعه ويوقفه ، إذا كان بعض رءوسه مُنغمسة بالفعل فى مُمارسة الإرهاب والتخطيط له والتحريض المُستمر عليه ووجود التناقض الصارخ بين القول المُعلن والفعل الحقيقى .

أيًّا ما كان الأمر ، فإن هذه العوامل تبدو لنا كالآتى :

١ ـ ضلوع العديد من الدول والحكومات وتواطؤها مع منظمات الإرهاب

الدولى ، وهو ما يضع تحت تصرف هذه المنظمات إمكانات واسعة تُساعدها على تنفيذ المُخططات الإرهابية المرسومة لها ، وإذا كانت بعض الدول الكُبرى تُمارس الإرهاب الدولى كما أسلفنا القول، رغم تظاهرها أمام العالم بمعاداته ، فإنها تلجأ أحياناً ومن خلال دول أُخرى إلى ممارسته فى أكثر صوره خطورة وأشدها خُبثاً والتواء وخير مثال على هذا التواطؤ الذى حدث بين أمريكا وإسرائيل بعد توقيع الطرفين على مُذكرة التفاهم الاستراتيجى بينهما فى نهاية عام ١٩٨١م وما برز عنها من تدمير المُفاعل النووى العراقى، واجتياح لُبنان، وضرب مقار مُنظمة التحرير الفلسطينية فى تونس ، وإجبار الطائرة المصرية التى تحمل مختطفى السفينة الإيطالية أكيلى لورو من الفلسطينين على الهبوط فى إحدى القواعد العسكرية فى صقلية تحت تهديد المُقاتلات الأمريكية .

٢ ـ التكاثر السرطانى لخلايا وشبكات الإرهاب الدولى . وقد وصل هذا العدد طبقاً لبعض الإحصاءات المنشورة أخيراً إلى ما يقرب من ثلاثمائة وثمانين مُنظمة إرهابية منتشرة فى أكثر من ستين دولة . ومن أشهر هذه المنظمات على المستوى الدولى ، مُنظمة الجيش الأحمر اليابانية، ومُنظمة الألوية الحمراء الإيطالية ، ومُنظمة الجيش الجمهورى الأيرلندى ، ومُنظمة الجيش الأحمر «بادر ماينهوف» الألمانية ، ومُنظمة إيتا «تحرير إقليم الباسك» التى تمارس أعمالها فى فرنسا وأسبانيا .

هذا بالإضافة إلى المُنظمات المتطرفة فى العالم العربى حيث نجد مُنظمة الجهاد الإسلامى ، وحركة النهضة الإسلامية ، والجبهة الإسلامية ، وحزب التحرير الإسلامى وهى جميعها مُنظمات انتشرت فى العالم العربى وكلٍ منها حدث بها انشقاقات عن المُنظمات الأم، ولجأ بعض الأعضاء المنشقين منها

إلى تكوين تنظيمات أُخرى رُبما أكثر تطرفاً وعُنفاً . وقد تكرست هذه الظاهرة في شتى الأقطار العربية التى تكثر فيها ظاهرة التطرف لتفرز ما يقرب من مائة تنظيم على الأقل بعدما تفشت ظاهرة الانشقاق عن التنظيمات الأم .

هذا بخلاف شبكة الإرهاب الدولية التى يُديرها جهاز الموساد الإسرائيلى والتى تُركز نشاطها على المنطقة العربية بطبيعة الحال .

وتشير بعض المصادر الموثوق فيها إلى الصلات الوثيقة التى تجمع بين العديد من هذه المُنظمات الإرهابية وخاصة فى أمور التنسيق وتبادل المعلومات والخبرات والتخطيط لبعض العمليات المُشتركة ، وتدعيم رحلات العمل بين مُنظمات الإرهاب الدولى يُساعد كثيراً فى شد أزر تلك الجماعات ودعم معنوياتها وزيادة مقدرتها على تنفيذ عملياتها ومُخططاتها بكفاءة أكبر ، وكذلك فى تمكينها من اختراق وسائل الدفاع واحتياطات الأمن فى الكثير من الدول ، غير أن اتساع نطاق هذا التعاون فيما بينها لا يعنى أن هُناك قيادة دولية مركزية لمنظُمات الإرهاب وشبكاته الواسعة .

٣ـ التقدم التكنولوجى الذى بات يسمح لأعضاء تلك الخلايا والشبكات الإرهابية بالتزود بمعدات فنية متطورة جدًا تُسهل عليها تنفيذ مُهماتها بالدرجة القصوى من الدقة والإتقان ، وأكثر هذه المعدات يقع فى نطاق أجهزة الاتصالات وجمع المعلومات مما يوفر لعمليات الإرهاب فُرصًا أكبر من النجاح .. إلا أن الهاجس الأكبر هو أن تتمكن بعض مُنظمات الإرهاب الدولى فى حيازة مواد نووية واستخدامها كأداة للضغط قد يتعذر على الدول والحكومات مقاومته خاصة إذا كانت النتائج المترتبة على رفضه ستكون من الخطورة بمكان .

ولا تستبعد بعض التقارير والدراسات المنشورة عن نشاطات الإرهاب الدولى أن يتحقق ذلك الاحتمال فى العقد المُقبل ، فتكنولوجيا إنتاج هذه الأسلحة النووية الصغيرة لم تعد سراً خافياً . كما أن فرص الحصول على المواد الداخلة فى تصنيعها تتزايد مع النمو الذى طرأ على تجارة المواد الانشطارية والنفايات الإشعاعية الناتجة عنها ، ومن ناحية أُخرى فإن التطورات التكنولوجية الحديثة فى مضمار بث الأخبار من إذاعة وتليفزيون وأقمار صناعية للاتصالات تُهيئ بدورها فُرصًا واسعة أمام الإرهابيين الذين يسعون وراء الدعاية لأفعالهم ، ويميل بعض المُحللين إلى اعتبار هذه التغطية الدعائية المُكثفة لنشاطات الإرهاب الدولى وعملياته من بين الأسباب المُهمة التى تُحفزه باتجاه التوسع فيها ، فهو يحصل من ورائها على حضور إعلامى درامى على اتساع العالم كُله دون أن يبتكر شيئاً فى سبيل الإنفاق عليه .

وهذا الاعتبار الدعائى بالذات كان دافعاً بأعضاء اللجنة الخاصة بموضوع الإرهاب الدولى التابعة للأُمم المُتحدة لأن تقترح على الدول أن تُقصر تغطيتها الإعلامية للأفعال الإرهابية فى أضيق الحدود لحرمان الإرهابيين من هدفهم الذى يسعون إليه دائماً ، وهو الحصول على أوسع دعاية دولية مُمكنة لعملياتهم .

٤ ـ إن المواقف السلبية التى تنتهجها دول كثيرة حيال ظاهرة الإرهاب وعدم مشاركتها جدياً فى مكافحته وتضيق الخناق عليه ، لعبت دوراً رئيسياً فى اتساع نطاق هذه الظاهرة وتفاقم أخطارها . وتتمثل تلك السلبية فى عدة صور منها :

ـ ضعف الترتيبات الأمنية الوقائية مما يُسهل على جماعات الإرهاب استغلالها والنفاذ منها باتجاه ضرب الأهداف التى يُخططون لها بأقل درجة من التخوف أو المُخاطرة ، وهُناك أيضاً العامل المُتعلق بضعف التشريعات الوطنية التى تُعاقب على ارتكاب أفعال الإرهاب ، وبذلك تفقد أثرها الرادع وتفتح الطريق واسعاً أمام المُغامرين ، يُضاف إلى ذلك تشجيع بعض الدول للإرهابيين إما بمساعدتهم أو بغض الطرف عن أنشطتهم المُنطلقة من أقاليمها ضد دول أُخرى ، فضلاً عن أن بعض الدول ترفض إبرام مواثيق ثنائية لمناهضة الإرهاب أو تبادل تسليم الإرهابيين .

٥ ـ اتخاذ بعض الأعمال مُجرد واجهات أو ستار لجمع المعلومات التى تستفيد منها شبكات الإرهاب الدولى بصورة يصعب إنكارها ، ومن ذلك ، الأعمال التى تتخفى فى صورة تقديم الخبرات الاستشارية للحكومات ، والشركات الوهمية والأنشطة التُجارية والثقافية المشبوهة مما يُساعد بدور كبير فى الحصول على المعلومات التى تُفيد فى تحديد الأهداف ، وفى كيفية الوصول إليها .. ويندرج ذلك كُله تحت مظلة الاختراق الذى تُعانى منه دول عديدة فى العالم الثالث عموماً ، وفى منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص .

وهُنا نوضح أنه لا جدوى من بذل الجهود الدولية مهما كانت شاملة ومُكثفة فى مُعاقبة الإرهاب الدولى ، ما لم تسبقها مُعالجة الجذور والأسباب التى يتغذى عليها ، وتُتيح له فُرص النماء والازدهار . فالإرهاب يجد جذوره فى مشاعر الإحباط واليأس والبؤس والمُعاناة التى تفوق أحياناً طاقة البشر على احتمالها .

وعليه فإنه مالم نصل إلى الأعماق لنستكشف الأسباب الحقيقية التى تُجبر تلك الفئة من الأفراد فى كُل مكان على اعتناق العُنف أسلوباً ومنهجاً

فى التعامل مع الواقع البائس الذى يُخفقون فى التعايش والتكيف طبيعياً معه، فإن كُل ما سينفق فى هذه المواجهة سيكون مُهدراً ولا طائل من ورائه ، فالنتائج مرهونة بأسبابها ومادامت أسباب العُنف والمصادر التى تعوزه باقية على حالها ، فإن مُضاعفاتها ستستمر من سيئ إلى أسوأ وسنظل ندور فى حلقة مُفرغة لا أول لها ولا آخر .

★★★



الفصل السابع

أساليب الانحراف

المخدرات

... نشأتها

... وأضرارها

أساليب الانحراف ــ المخدرات: نشأتها وأضرارها

المخدرات ... ذلك الشبح القاتل ..

المخدرات .. تنين ضخم ينفث النار من بين أصابع الشباب ، وتعاطى المخدرات موضوع ذو ماض وحاضر ومُستقبل أما الماضى فبعيد يصل إلى فجر الحياة الاجتماعية الإنسانية ، وأما الحاضر فمُتسع يشمل العالم بأسره ، وأما المُستقبل فأبعاده متجددة وليست مُحددة . فما من مُجتمع ترامت إلينا سيرته عبر القرون أو عبر مستويات التغير الحضارى المتعددة إلا وجدنا بين سطور هذه السيرة ما يُنبئ بشكل مُباشر أو غير مُباشر ، عن التعامل مع مادة أو مواد مُحدثة لتغيرات بعينها فى الحالة النفسية بوجه عام ، أو فى الحالة العقلية بوجه خاص ، لدى المتعامل . تترامى إلينا هذه السيرة عن الصين ، والهند ، ومصر ، وفارس ، واليونان القديمة ، كما ترد إلينا عن العديد من المُجتمعات البدائية أو الأقرب إلى البدائية .. وبسبب أهمية المخدرات وما لها من أيادٍ للانحراف سنتطرق إليها بإمعان - إن شاء الله - كى يعلم القارئ مدى أضرار تلك السموم ومدى دمارها .

نستعرض فى هذا الفصل تاريخاً موجزاً للمواد النفسية ، والهدف الأساسى من هذا العرض هو الكشف غن الجذور العميقة لهذه المواد وما يتعلق بها من ممارسات فى وجدان الإنسان الحديث ، وبالتالى إلقاء مزيد من الضوء على حقيقة المقاومة التى تلقاها كثير من الدعوات والإجراءات الحديثة الهادفة إلى التقلص الشديد لاستخدام بعض هذه المواد فى حياة الإنسان المُعاصر ، والقضاء نهائياً على التعلق باستخدام بعضها الآخر . ولما كُنا نقصد بهذا

العرض التاريخى الارتفاع بكفاءة تعاملنا مع حاضر هذه المواد النفسية فى حياتنا المُعاصرة فسيكون هذا العرض موجزاً نقتصر فيه على ما نتوسم أن يخدم الغرض المُستهدف ، ونترك ما خلا ذلك من تفصيلات تاريخية قد تكون شائقة، ولكنها لا تنسجم وتوجّهنا الأساسى فى هذا الكتاب .

الكحوليات

تُشير المراجع التاريخية الموثوق بها إلى أن الكحوليات تُعتبر من أقدم المواد النفسية التى تعاطاها الإنسان إن لم تكن أقدمها على الإطلاق ، وتُعتبر الصين من أسبق المُجتمعات إلى معرفتها وتصنيعها مُنذ عصور ما قبل التاريخ. فقد عرف الصينيون القُدامى عدداً من عمليات التخمير الطبيعية لأنواع مختلفة من الطعام مُنذ تلك العصور الضاربة فى القدم .

ومن ثم عرفوا الطريق إلى تصنيع أنواع مُختلفة من هذه المشروبات التى كانوا يُطلقون عليها جميعاً كلمة «جيو» وهى كلمة يترجمها أهل الاختصاص «بالنبيذ» أو الأنبذة ، فكان هُناك النبيذ الأصفر وهو مصنوع من تخمير الأُرز ، وكان هُناك نبيذ البيرة ، وكان هُناك أيضاً النبيذ الأبيض ، وهو نوع مُقطر . ويبدو أن النبيذ الأصفر هو أقدم أنواع الأنبذة التى صُنعت فى الصين . وكان هو نفسه أنواعاً متنوعة تختلف باختلاف نوع الأُرز الذى يُصنع منه .

ثم عرف الصينيون طريقهم إلى صُنع النبيذ الأبيض «المُقطر» من أنواع مُعينة من البطاطس والحنطة وبعض الجذور النباتية التى تحتوى على النشا . أما نبيذ العنب فقد استوردوا صناعته مع أول اتصال بينهم وبين الغرب ، حدث ذلك حوالى عام ٢٠٠ ق . م . أيام أُسرة هان التى أرسلت أول بعثة دبلوماسية للاتصال بالإمبراطورية الرومانية . وقد ساعدت معرفة نبيذ العنب

على ابتكار مـزيد من الطُرق لصناعـة الأنبـذة من سـائر الفـواكـه كـالتُّفـاح والكُمثـرى والبـرتقـال .. إلخ . وارتبط هذا كُله بنشـوء وارتقـاء ثقـافة خاصـة بالقواعد الاجتماعية التي يلزم مراعاتها معَ شُرب الأنبذة. وفي الوقت نفسه ، وإلى جانب هذه الأنبذة ذات الوظيفة الترويجية ، نشطت صناعة مجموعة من الأنبـذة عُـرفت بالأنبـذة الدوائيـة ، يُشـار إليـها بعبـارة «ياوجيـو» ، وكـانـت هذه تُسـتخدم لتنشيط الشـهـيـة ، وتنشـيط الدورة الدموية ، وإغناء الدم . وخفض التوترات ، وما نُسميه الآن ضغط الدم المُرتفع ، وتخفيف الآلام الروماتيزمية ، وعلاج نزلات البرد .

ونتيـجة لهذا التـاريخ الطويل فقد استقر نوع من الذوق العـام الذى يختلف فى تفـصـيله هذا النوع أو ذاك من الأنبـذة البـيـضـاء «المـقطرة» ، وفى الجنوب يفضلون أنبذة الأُرز الصفراء . بينما نجد نبيذ الأعناب والفواكه عـموماً يلقى القبول فى جميع أنحاء الصين .

هذا نـموذج من بين عـدة نماذج لتاريخ بدء صناعـة الكحوليات في كثير من المُجتمـعات البشرية ، وهو برغـم تميزه بالقدم النسبى فى نُقطة البداية ، فإنه يُقدم لنا بعض العناصر التى نجدها «من حيث الشكل » فى سائر المُجتمعات ، فكثير من الـمُجتمـعات القديمـة «كـما فى مصر والهـند » عرفت طريقهـا إلى المـشروبات الكحولية أول ما عـرفته بصورة تلقائية مُرتبطة بعمليات التخمر الطبـيـعيـة لبـعض ألوان الطعام ، ثُم بعد قـليل أو كـثـير من القـرون نـقلت عن مُجـتـمعـات أُخرى من خـلال التفـاعل الحضـارى بعض مـا لديهـا من خـبـرات الصناعة ومُمـارسات الشراب فى هذا المجال . ولذلك نـكتفى بالنموذج الذى أوردناه ، وننتـقل إلى نقطة أُخـرى ربـمـا كـانت أهم بالنسـبـة لـموضـوعنا فى الكتاب الراهن ، وهى التناول أو التعاطى .

اقترن تناول المشروبات الكحولية فى الصين القديمة بعدد من المناسبات الاجتماعية منها مثلاً: تقديم الأُضحيات للآلهة أو للأسلاف ، ومنها اتخاذ قرار قبل الخروج إلى معركة حربية ، ومنها الاحتفال بانتصار ما ، ومنها حلف اليمين بولاء ما ، ومنها عقد حفلات الزواج والميلاد واجتماع الشمل ، أو الاجتماع حول الموت . فى هذه المُناسبات وما شابهها كان تناول المشروب الكحولى المُناسب جُزءاً من مجموعة من الطقوس المُستقرة اجتماعياً ولكن إلى جانب ذلك أيضًا كان يجرى تناول المشروبات الكحولية فى حياة الناس لأغراض ترويحية غير مرتبطة تماماً بهذه الطقوس ، وكان يصحبها أحيانًا بعض المُغالاة أو الإفراط ، وهو ما لا يزال يحدث حتى وقتنا الحاضر . ومن ثم فقد ترسبت فى مأثورات الحكمة الصينية كثير من الإرشادات التى تحضُّ على الاعتدال فى هذه السلوكيات ، بل وعلى أقدار متفاوتة من الزُهد فيها .

فإذا تركنا المُجتمع الصينى إلى غيره من المُجتمعات القديمة كمُجتمع المصريين القُدماء وجدنا إشارات تاريخية لافتة للنظر ، فمع أن المُجتمع المصرى القديم عرف الكحوليات مُنذ عهود قديمة نجد بلوتارك المؤرخ الرومانى الشهير يُقرر أن ملوك المصريين لم يكونوا يشربونها ولا يتقربون بها إلى الآلهة ؛ لأنهم كانوا يرون أن هذه المشروبات إنما هى فى حقيقتها دم الكائنات التى وقفت يوماً من الأيام فى وجه الآلهة تعارضها وتُقاومها ، فلما أدركها الموت وتحللت أجسادها تفجرت هذه الأنبذة «الكحوليات» من هذه الجُثث المُتعفنة ، وما مظاهر السُكر والعربدة التى تصدر عن الشاربين إلا نتيجة لامتلاء أبدانهم بدماء أعداء الآلهة .

وهُناك دراسات عديدة عن دور الكحوليات فى حياة المجتمعات القديمة

الأُخرى ، كالمُجتمعات العبرية ، واليونانية القديمة ، كما أن هُناك دراسات أنثروبولوجية وفيرة تتناول الأدوار والمعانى المُختلفة التى تُنسب إلى الكحوليات فى حياة كثير من المُجتمعات التى تشغل مواقع مُختلفة على تدريج مُتصل يمتد من البدائية إلى الحداثة .

الأفيون

تُشير بعض المراجع إلى أن الاستخدام الطبى للأفيون عُرف مُنذ ما يقرب من سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وتُشير بردية إيبرز إلى أنه كان يُستخدم فى علاج المغص عند الأطفال .

كذلك ورد ذكره فى ملاحم هوميروس باعتباره الدواءالذى يُهدئ الألم والغضب ويمحو من الذاكرة كُل أثر للأحزان .

ووصفه سلسوس وديسكورديس ويلينى للعلاج من ضيق التنفس وللمساعدة على النوم . وكذلك نبه هؤلاء إلى خطر الموت الذى قد يترتب على زيادة جرعته . كذلك وصف الحكيم العربى ابن سينا استخدام بذور الخشخاش فى علاج «ذات الجنب» «وهو التهاب غشاء الرئة» كما وصف استعمال الأفيون فى علاج بعض أنواع «المغص» ، وكذلك ذكر داود الأنطاكى فى تذكرته المعروفة باسم «تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العُجاب» تحت اسم خشخاش، وقال فى هذا الصدد إذا أُطلق أى: هذا الاسم » يراد النبات المعروف فى مصر بأبى النوم، وقال: إنه ينمو برياً ، وقد يُزرع أيضاً .

ومنه يُستخرج الأفيون بالشرط . وقال فى وصف آثاره إنه إذا دُق بجملته رطباً وقُرص كان مرقداً جالباً للنوم ، مُجففاً للرطوبة ، مُحللاً للأورام ، قاطعاً للسُعال وأوجاع الصدر الحارة، وحُرقة البول ، والإسهالا المُزمن . أما بذره فنافع لخشونة الصدر والقصبة الهوائية ، وضعف الكبد والكُلى، ويصُب طبيخه على الرأس فيشفى صُداعه ، وأنواع الجنون كالبرسام والماليخوليا .

وفى الهند يبدو أن نبات الخشخاش، والأفيون نفسه كانا معروفين مُنذ القرن السادس الميلادى. وتذكر بعض المراجع أنه ورد إلى الهند والصين أصلاً من بلاد سومر . وكان السومريون فى الألف الثالثة قبل الميلاد يشغلون المنطقة التى نُسميها الآن شمال سوريا والعراق . ويبدو أن الأفيون استقر فى الهند قبل الصين بزمن طويل ، وانتشر تعاطيه بين الهنود سواء عن طريق الأكل ، أو التدخين ، أو الشرب . وظلت الهند تستخدم الأفيون فى تبادلاتها التجارية المحدودة مع الصين ، إلى أن قررت شركة الهند الشرقية فى أوائل القرن التاسع عشر أن تضعه ضمن احتكاراتها ، ثم اتجهت به إلى محاولات التسويق بالقوة فى أسواق الصين ، وانتهت مقاومة الصين لهذه المحاولات بوقوع الحرب المعروفة باسم حرب الأفيون التى قامت من عام ١٨٣٩م حتى عام ١٨٤٢م والتى قامت بين الصين وإنجلترا ، حيث دافعت الصين بكل قوة عن بلادها ضد إنجلترا التى حاولت إغراق أراضيها بالأفيون . وتغلبت إنجلترا على الصين فى هذه الحرب . ونتيجة لذلك وقعت الدولتان معاهدة «نانكين» عام ١٨٤٣م . وبمقتضاها استولت إنجلترا على هونج كونج ، وفُتحت أسواق الصين أمام الأفيون الهندى ، وفُتحت مُعظم الموانئ الصينية الكُبرى أمام البضائع الغربية بحد أقصى للضرائب الجمرُكية ٥٪ وأُعفى الرعايا الأجانب من الخضوع للقانون الصينى .

وشجع ذلك الولايات المتحدة الأمريكية فضغطت على الصين ووقعت معها معاهدة مُماثلة عام ١٨٤٤م . وكان من أهم النتائج بعيدة المدى التى ترتبت على ذلك الانتشار الواسع لإدمان الأفيون بين جميع فئات الشعب الصينى ، حتى لقد قدر عدد المُدمنين فى عام ١٩٠٦م بخمسة عشر مليوناً . وقُدر فى عام ١٩٢٠م بـ ٢٥٪ من مجموع الذكور فى المُدن الصينية .

واستمرت هذه الأوضاع المُتردية فى الصين حتى أكتوبر من عام ١٩٥٠م عندما أعلنت وزارة الصحة الصينية فى حكومة ماوتسى تونج بدء برنامج فعال للقضاء على تعاطى الأفيون وتنظيم تداوله .

أما فى الهند فقد ظلت استخداماته تتراوح بين التعاطى والإدمان من ناحية ، والتطبيب من ناحية أُخرى . ويُقال : إن المسئول عن إدخاله ضمن ممارسات الطب الهندى هم العرب فى حوالى القرن التاسع الميلادى . وقد عُرف الطب العربى فى الهند ولا يزال باسم «Unani tibbi» أى : الطب اليونانى وذلك نظراً لأصوله اليونانية .

ويقول الثقاة : إن المؤلفات الطبية العربية لم تقتصر على وصف خصائص الأفيون ، بل زادت على ذلك تضمينه فى كثير من وصفاتها الطبية . ومن بين الاضطرابات التى يعالجها الطب العربى فى الهند بوساطة الأفيون الأرق ، والاستثارة العصبية ، والإسهال ، والدوسنتاريا ، والتهاب الأعصاب ، والآلام الروماتيزمية . ومن الخصائص التى يذكرها للأفيون أنه منوم ، ومُسكن للأوجاع ، ومُختر للدم ، ومُمسك . وجدير بالذكر أن هذا النوع من التطبيب لا يزال يُمارس فى الهند كجزء من الطب الشعبى وبخاصة فى القرى الهندية .

يبقى من الفصول المُهمة فى تاريخ الأفيون أن الصيدلانى الألمانى الشاب «سيرتورنر» تمكن فى عام ١٨٠٣م من عزل العُنصر الفعال فى الأفيون ، وهو المورفين ، وهو العُنصر المسئول عن مُعظم الآثار الفسيولوجية والسيكولوجية المترتبة على تناول الأفيون بأى صورة من الصور . وقد انتشر

استخدام المورفين بعد ذلك لأغراض طبية فى العالم الغربى وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وساعدت على ذلك بصورة خاصة ظروف الحرب الأهلية التى بدأت عام ١٨٦١م واستمرت حتى أواخر عام ١٨٦٤م، وذلك لمواجهة احتياجات العمليات الجراحية فى أثناء الحرب . وفى عام ١٨٧٠م كانت الإبرة الطبية اللازمة للحقن تحت الجلد قد اختُرعت «منذ مُنتصف القرن» وأدخلت عليها التحسينات التكنولوجية اللازمة بحيث أصبحت أداة شائعة الاستعمال بين الأطباء والمرضى لحقن المورفين . وفى عام ١٨٧٤م أمكن تصنيع الهيروبين فى المعمل ، وعُرف فى البداية باسم داى أسيتايل مورفين إلى أن أطلقت عليه شركة باير للأدوية اسم الهيروبين عام ١٨٩٨م .وفى النهاية فإن آخر النقاط المُهمة فى هذا التاريخ اكتشاف النالورفين عام ١٩١٤م ، وبدء ظهور التقارير الطبية عامى ١٩٤٣ و١٩٤٤م عن استخداماته المضادة للتأثيرات المورفينية على مُدمنى الأفيون والمورفين، والمحاولات الطبية والصيدلانية التى انطلقت بعد ذلك لمزيد من الارتقاء بهذا العلاج .

القنب «الحشيش»

يُشير تاريخ القنب إلى أنه استُخدم عدة استخدامات ، فقد صُنعت من أليافه أحبال وأنواع من الأقمشة المتينة ، كما وصفه الأطباء لعلاج أدوية بعينها ، واستُعمل كذلك لأغراض دينية ، وللتغلب على الجوع والعطش ، وكذلك استعمل لأغراض ترويحية .

ويُقال فى بعض المراجع : إنه ظهر أول ما ظهر فوق جبال الهيمالايا فى شمال الهند مُنذ ما يقرب من ٣٥ قرناً ، ومن هُناك انتشر مع تحركات البشر

الرُّحل فى جميع أنحاء العالم وترى مراجع أُخرى أن الاستخدامات الطبية لهذا العُشب عُرفت مُنذ ما يقرب من خمسين قرناً ، وهو قول يعارضه بعض المؤلفين المحدثين .

يتجه الرأى الغالب بين المُختصين إلى القول بأن الصين القديمة عرفت زراعة القنب ، وكانت فى ذلك أقدم منشأ للنبات على سطح الأرض . وقد استغل الصينيون هذا النبات أول ما استغلوه لكى يستخدموا أليافه فى صُنع نوع مُعين من الأقمشة يصنع منها الفُقراء ملابسهم ، كان ذلك فى مناطق تقع حسب خرائطنا الحديثة ، فى شمال شرق الصين وشرق سيبيريا . وتُشير الدلائل الأثرية إلى أن نبات القنب كمصدر للألياف التى يُصنع منها النسيج والأحبال عُرف فى الصين مُنذ ما يقرب من ستة آلاف عام وذلك مُنذ عصر حضارة يا نجشاو ، وقد ظل معروفاً وموجوداً فى تلك البقاع حتى العصر الحديث . وتُشير بعض الوثائق الأثرية إلى أن الأحبال استخدمت هُناك لصنع شباك الصيد . كذلك يبدو أن ألياف القنب استخدمت فى صناعة الورق فى تلك المناطق حوالى أوائل القرن الثانى الميلادى . أما استعمال بذور القنب للطعام ، كما يستخدم الأُرز والشعير وفول الصويا فقد عرف قبل ذلك بكثير ، ربما فى الوقت نفسه الذى استخدم فيه النبات لأليافه . لكن هذا الاستخدام يبدو أنه لم يستمر إلى أقرب من القرن السادس الميلادى نظراً لظهور أنواع من البقول أفضل .

أما عن الاستعمالات الطبية للعُشب فيقال : إنها ترجع إلى حوالى القرن العشرين قبل الميلاد ، أيام إمبراطور الصين الحكيم «شن نونج» فقد وصف القنب لعلاج الإمساك ، وداء الملوك «النقرص» ، والملاريا والروماتيزم .

ويبدو أن الاستعمالات الطبية للقنب استمرت فى الصين حتى بدايات التقويم الميلادى . غير أن هذه الاستعمالات بدأت تنحسر شيئاً فشيئاً ، وارتبط هذا الانحسار بظهور المزيد من ملاحظات الأطباء على تأثير هذا العقار فى تشويه الإحساس بالزمان والمكان «السُّكر» .

وفى الهند استُخدم القنب لأغراض دينية قبل أن يستخدم لأغراض طبية . وكان الرأى السائد بين الداعين إلى استخداماته الدينية أنه «يُخلص عقولهم من المشتتات الدنيوية حتى تقوى على التركيز على الإله الموجود الأعلى» .. ولا يزال هذا العُشب يُستخدم فى معابد الهندوس والسيخ . وفى نيبال يوزع فى معابد أتباع «شيفا» فى أيام الأعياد المُقدسة .

وتُشير بعض المراجع التاريخية كذلك إلى أنه عُرف فى مصر منذ حوالى القرن العشرين قبل الميلاد ، واستُخدم حينئذ فى علاج بعض أمراض العيون . ولكن ليس هُناك ما يشهد بوجود تاريخ مُتصل لهذا العُشب فى هذه المنطقة ، أى مصر والعالم العربى سواء فيما يتعلق بالاستخدامات الطبية الدينية أو الترويحية . كُل ما فى الأمر أننا نعلم أن هذا العُشب كان معروفاً فى بلاد الفُرس ورُبما عند الآشوربين حوالى القرن السابع قبل الميلاد .

ويُقال : إن المنطقة العربية عُرفت بالاستخدامات الطبية للقنب فى حوالى القرن التاسع الميلادى مع قيام حركة الترجمة عن الطب اليونانى . ومع بداية القرن العاشر تبدأ الإشارات الصريحة إلى القنب فى الطب العربى . ففى كتاب عن السموم لابن وحشية يرد ذكر القنب على أنه سام . كما يرد ذكره عند الرازى.

ويبدو أن كلمة الحشيش استخدمت لأول مرة عند الكُتاب العرب فى

أواخر القرن الحادى عشر الميلادى، بعد أن كانت كلمة «بانج» هى الشائعة. وفى خلال القرن الثانى عشر دخل القنب مصر، وكان ذلك فى أوائل حكم الأيوبيين . وفى أوائل القرن الثالث عشر كان القنب قد انتشر فى فارس والشام ومصر. وفى هذا القرن نفسه اجتاح المغول العالم الإسلامى (١٢٢١م ـ ١٣٠٠م) بادئين بفارس ، وكان ذلك بقيادة «جنكيز خان» ، وكان المغول يتعاطون القنب ، وقد زاد انتشاره مع الزحف المغولى . وفى هذا القرن نفسه كتب ابن البيطار «١١٩٧م ـ ١٢٤٨م» عالم النبات العربى العظيم ، عن القنب ، فقال: إنه يُزرع فى مصر، وإنه يُعرف فيها بالحشيش ، وقال: إنه يؤكل ، وإن آكله يشعر بالخفة والسرور «علامات السُّكْر» .. ولكنه ينتهى إلى العته وربما الموت . وقال: إن الطائفة الصوفية والإسماعيلية يتعاطونه فى ممارساتهم الدينية . وفى هذا القرن نفسه بدأ الحُكام «الأيوبيون» فى مصر يُحاربون زراعته ، ولكن نجاحهم كان مؤقتاً . وفى هذا القرن نفسه أيضاً نجح المماليك فى إسقاط الدولة الأيوبية فى مصر وذلك فى عام ١٢٥٤م ، وتمكنوا من إيقاف زحف المغول غرباً، وذلك فى موقعة «عين جالوت» فى الشام عام ١٢٦٠م. وفى غمرة هذه الأحداث يأمر الملك الظاهر بيبرس «وهو الذى هزم المغول» بمنع تداول القنب أو تعاطيه ومعاقبة من يُخالف ذلك ، وهذا لما لاحظه من تأثير سيئ لهذا العُشب على معنويات جنوده حتى والمغول لا يزالون يهددون سلامة البلاد وفى هذا القرن نفسه كذلك يكتب «القرافى» بما معناه أنه لا حرج فى تعاطى القنب بمقادير صغيرة بحيث لا تؤثر فى العقل ولا تفقد الحس .

ومع دخول القرن الرابع عشر ينتشر «الحشيش» فى الشمال الأفريقى حتى يبلغ الأندلس . وقد تحدث ابن بطوطة عن انتشاره فى البُلدان التى ارتحل فيها

من فارس إلى شرق إفريقيا. وفى هذه الفترة نشر الشيخ الإمام «أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى» رسالته الشهيرة التى استهلها بقوله :

ـ «أما بعد فهذه فصول فى الكلام على الحشيشة اقتضى الحال شرحها لعموم بلوى كثير من السفلة بها وتوقف كثير من الناس فى حُكمها علّهم يجدون للسلف فيها كلاماً» وعلى امتداد القرن الرابع عشر تقوم عدة محاولات من حُكام مصر لمنع تداول الحشيش أو تعاطيه ، ولكن نجاحها يكون مؤقتاً . وحوالى مُنتصف القرن الخامس عشر يكتب المقريزى مُسفهاً الحشيش ومُتعاطيه. وفى عام ١٤٥٣م تسقط القسطنطينية فى يد العثمانيين، وفى عام ١٥١٧م يستولون على مصر . ويبقى شيوع الحشيش فى مصر بين مد وجزر ولكنه لا ينتشر فى الأناضول بدرجة مُماثلة ، ويشهد مؤرخ تركى عاش فى القرن السابع عشر، أنه عندما كان فى القسطنطينية وجد ألف حانوت تبيع البيرة ، و١٠٤ تبيع الخمور ، ولكنه لم يجد سوى ٦٠ مكاناً لبيع الحشيش وتدخينه .

وقد عرف القنب «الحشيش» فى أوروبا الحديثة من خلال بعض الكتابات العلمية الهادئة مُنذ القرن السادس عشر، فقد كتب عنه حينئذ «بروسبر ألبانيو» فى كتابه De Medicina Aegypuwm كما كتب عنه لينيوس عالم النبات الشهير وكان ذلك بعد مُنتصف القرن الثامن عشر بقليل . غير أن أوروبا عرفته بعد ذلك موضوعاً لكتابات مُثيرة للجدل ، وكان ذلك بشأن خصائصه كمُخدر . وبهذا الاعتبار وصلت سُمعته إلى أوروبا عن طريقين : الأول هو طريق الحركة الاستشراقية التى نشطت بوجه خاص فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، مع تأسيس الجمعية الأسيوية للبنجال عام

١٧٨٤م ، والجمعية الأسيوية الملكية فى بريطانيا عام ١٨٢٤م . فى هذه الفترة التاريخية دُرست وتُرجمت وألفت «على سبيل المحاكاة» كُتب كثيرة عن الشرق والمؤلفات الشرقية «وكان مُعظم الاهتمام مُنصبًّا حينئذ على ما يخص الهند وفارس والشرق الأوسط العربى»، ومن أشهر النماذج التى تناولتها هذه الدراسات ونقلتها إلى القارئ الأوروبى «ألف ليلة وليلة» . وجدير بالذكر هُنا أن هذه الدراسات والترجمات لم تتوجه إلى دولة أوروبية بعينها دون غيرها ، ولكنها توجهت إلى الجميع . وفى غمار هذه الحركة انتقلت سيرة الحشيش كمُخدر ، مع كُل تهويمات الخيال الأدبى.

هذا عن الطريق الأول ، أما الطريق الثانى فكان ما حمله معهم عُلماء نابليون بونابرت وجنوده بعد عودتهم من مصر على إثر فشل الحملة العسكرية التى استمرت من عام ١٧٩٨م إلى عام ١٨٠١م . وفى ظل تداخل هذين الطريقين معاً ، وتوافر المُناخ المُناسب فى أوروبا شهدت السنوات من حوالى عام ١٨٤٠م إلى ما يقرب من سنة ١٨٦٠م نشاطاً بارزاً من الكتابات والتجارب والاجتماعات التى تدور كُلها حول الحشيش وآثاره على مُتعاطيه . ففى عام ١٨٤٣م دون «تيوفيل جوتييه» «وهو أديب فرنسى رومانسى عاش من عام ١٨١١م إلى عام ١٨٧٢م وعُرف بدفاعه عن نظرية الفن للفن» ملاحظاته الاستبطانية على خبرته الذاتية الناجمة عند تعاطى الحشيش . وفى عام ١٨٤٥م نشر «مورو دى تور» الطبيب النفسى الفرنسى كتاباً عنوانه «عن الحشيش والاضطراب العقلى» وفى عام ١٨٤٦م تعاطى «بودلير» الحشيش وكتب عنه وهو يصف خبرته مع هذا التعاطى ، كتب مقالاً بعنوان «عن الخمر والحشيش مع المقارنة بينهما كوسيلتين لمضاعفة الفردية» . وفى عام ١٨٥٦م نشر هذا الشاعر نفسه مجموعة من خمس مقالات عن الحشيش، هى «مذاق اللا متناهى» و «ما هو الحشيش؟» و «مسرح سيرافيل» و «الإنسان

ـ الإله» و «الأخلاق» .. وفي عام ١٨٥٧م أعلنت الجمعية الدوائية في باريس عن مسابقة علمية موضوعها القنب الهندى ومع اقتراب القرن التاسع عشر من نهايته هدأت الضجة التى أثارها مجموعة الأدُباء والفنانين الأوروبيين حول الحشيش . ومع بداية القرن العشرين عرف الحشيش طريقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك من خلال هجرة المكسيكيين شمالاً خلال عشرينات القرن للاشتغال كعمال زراعيين في الولايات المتحدة ، كان المكسيكيون يعرفونه ويدخنونه ، فانتقل معهم وبدأ ينتشر في أوساط بعينها في الولايات المتحدة ، أوساط عازفي موسيقى الجاز السود بوجه خاص وبعض البيض . وفي عام ١٩٣٨م طلب عُمدة مدينة نيويورك إلى الأكاديمية الطبية لنيويورك أن تهتم بإجراء بحث علمى اجتماعى حول مُشكلة الحشيش في المدينة . وتشكلت على أثر ذلك لجنة لإجراء البحث المطلوب ، عرفت باسم لجنة لاجوارديا ، وأشرفت على إجراء البحوث المطلوبة ونشرت عن ذلك تقريراً عُرف باسمها ، وقد أثار كثيراً من الجدل حول قيمته العلمية .

وتضع الحرب العالمية الثانية خاتمة لما نُسميه السرد التاريخى لأحداث القنب «الحشيش» في العالم . ومع بدء خمسينات هذا القرن يبدأ الحاضر .

الكوكايين

يُستخلص الكوكايين من نبات الكوكا . وقد عُرف هذا النبات في أمريكا الجنوبية مُنذ أكثر من ألفى سنة . وفي عصور ازدهار قبائل «**الأنكا**» كانت أوراق الكوكا تُعتبر شيئاً ثميناً وكانت تحجز عادة عن العامة لكى يبقى استخدامها وقفاً على النبلاء ورجال الدين «كانت طريقة الاستخدام أو التعاطى هى مضغ الأوراق وإبقاءها في الفم حوالى ساعة لاستحلابها» . ونظراً

لما لوحظ من تأثير مُنشط لهذه الأوراق فقد كان الجنود «**أيام الإنكا أيضاً**» يستخدمونها لتُعينهم على الارتحال مسافات طويلة حاملين رسائلهم .

وعندما احتل الإسبان البلاد في القرن السادس عشر تُرك الهنود الحُمر يمضغون أوراق الكوكا ليستعينوا بها على تحمل مشاق العمل للسادة الإسبان في مناجم الذهب والفضة . وفي ظل هذا النظام الجديد عني الإسبان بزراعة شجر الكوكا بانتظام «وكان الهنود الحُمر من قبل يكتفون بالاعتماد على الأشجار التى تنبت في المكان تلقائياً» ، وأصبح العُمال الهنود يُعطون جزءاً من أجرهم مقادير من أوراق الكوكا . وانتشر مضغ الكوكا أكثر من ذي قبل ، وربما رأى فيها الهنود المقهورون أمام المُستعمر الإسباني بقية باقية من ممارساتهم الحضارية المُندثرة .

«إلى جانب آثارها التنشيطية» فازدادوا تمسكاً بها . ويُقدر عدد الهنود الذين يمارسون الآن مضغ الكوكا بانتظام في بيرو وبوليفيا بما يزيد قليلاً على أربعة ملايين نسمة . وفي عام ١٨٦٠م تمكن «نيمان» من عزل العُنصر الفعال في النبات ، وأسماه «كوكايين» . وتوالت التجارب بعد ذلك على الكوكايين لاستغلاله في الأغراض الطبية ، وفي حوالي عام ١٨٨٥م اكتشف «كارل كوللر» أن الكوكايين يمكن استخدامه كمُخدر موضعي لإجراء جراحات العيون دون ألم يُذكر . كذلك نشطت البحوث في تأثيره على الجهاز العصبي المركزي ، وبالتالي فقد أُدخل الكوكايين كمنشط في عدد من الأدوية والمشروبات الترويحية . ومن أشهر هذه المشروبات «الكوكاكولا» التي قُدمت في عام ١٨٨٦م ولكن في عام ١٩٠٣م استُبعد الكوكايين من تركيبها .

وفي تلك الفترة تبارى أطباء الأمراض العصبية ، كما تبارت شركات الأدوية

فى الدعوة للإقبال على الكوكايين ويُذكر فى هذا الصدد اسم «وليم هاموند» أحد كبار أطباء الأعصاب فى أمريكا ، الذى يُقال إنه أسهم كثيراً بالقول وبالكتابة ، فى امتداح الكوكايين . وكان من أقواله الشهيرة التى أطلقها عام ١٨٨٧م: أن ضرر الكوكايين فى استثارة اعتياد الإقبال على تناوله لا يزيد على ضرر الشاى والقهوة فى هذا الصدد. كذلك تفاخر بأنه استطاع بالتعاون مع أحد الصيادلة فى نيويورك أن يكون ما أسماه «بنبيذ الكوكايين» وذلك بإضافة ما مقداره ١٣٠ ملليجراما من الكوكايين إلى لتر من النبيذ ومزجها جيداً، وأن هذا النبيذ يفوق كثيراً نبيذ آخر كوّنه الفرنسيون بطريقة مُقاربة كان يُعرف باسم نبيذ «ماريانى»؛ لأن هذا الأخير لا يحتوى إلا على حوالى ٣٠ ملليجراماً فقط. من الكوكايين . وبالإضافة إلى هذه التصريحات من هاموند وأمثالها من غيره من أطباء الأعصاب «ومنهم سيخمون فرويد» سارعت شركة «بارك دافيز» للأدوية إلى تقديم الكوكا والكوكايين فى ١٥ شكلاً مختلفاً ، ومن بينها مثلاً سجائر الكوكا ، وكوكايين للحقن، وكوكايين للشم. كذلك قدمت هذه الشركة ما اعتبرته حقيبة مُعدات صغيرة تجعل الكوكايين فى متناول من يُريد بيُسر وسهولة . وكان من بين ما تحويه الحقيبة حُقنة لحقن العقار تحت الجلد . ومن بين ما جاء فى إعلان الشركة حينئذ أن هذا العقار «يمكن أن يحل محل الطعام» كما أنه يجعل الجبان شجاعاً ، والسَّكوت فصيحاً .. كما أنه يحول المعاناة من الألم المؤسف إلى فرحة. ومن المؤسف حقاً أن تاريخ المواد المُخدرة زاخر بمثل هذه الاندفاعات الحماسية سواء من جانب شركات صناعة الدواء «بدافع الإسراع

إلى جنى الأرباح» ، ومن جانب كثيرين من الأطباء وغيرهم من الأشخاص ممن يُحملهم المجتمع عبئاً مضاعفاً لمسئولية الكلمة ، ويتوقع منهم فى المُقابل قدراً مضاعفاً من ضبط الحكم والقول . حدث هذا فى تاريخ الكوكايين كما رأينا ، وحدث ما يُماثله فى تاريخ الهيروين ، وحدث كذلك فى تاريخ المُهدئات الصُغرى «البنزوديازيبينات ، كالديازيبام» ، ولايزال يحدث إلى حد ما بشأن تدخين القنب .

وفى عام ١٨٨٦م نُشر أول تقرير طبى ، نشره طبيب فى واشنطن عن بعض الأوجاع المُعاكسة المترتبة على الحقن بالكوكايين للتخدير فى إحدى العمليات الجراحية ، ولم يلتفت أحد إلى هذا التقرير ، ثم توالت التقارير عن أوجاع مُعاكسة ترتبت على زيادة الجُرعة أو على عوامل أُخرى أكثر ارتباطاً بالظروف النوعية للمرضى ، ثم توالت التقارير عن المشكلات السلوكية الاجتماعية المترتبة على تناول الكوكايين على فترات زمنية طويلة . وفى عام ١٩١٤م وُقع ما يُعرف باسم قانون «هاريسون» الذى وضع قيوداً مشددة على تداول الكوكايين ، منها تحريم بيعه إلا من خلال الوصفات الطبية ، ومنها تحريم إدخاله بأى قدر فى الأدوية التى تؤخذ بدون إذن الطبيب . وفى عام ١٩٣٠م جاء فى تقرير لجنة نيويورك «بإشراف عُمدتها» للنظر فى أمر المخدرات ... ومُنذ ذلك الوقت أصبح القانون رادعاً لتجارة المخدرات وتقلصت تجارته حتى إنه أصبح تعاطى الكوكايين شبه معدوم فى الولايات المتحدة ، ولم يعد مُشكلة مؤرقة كما كان .

القـــات

القات شجرة دائمة الخُضرة ، وأول ما أسماها باسمها العلمى ووصفها وصفاً دقيقاً هو عالم النبات السويدى «بير فورسكال» الذى تُوفى فى اليمن عام ١٧٦٣م . أما الاسم العلمى الذى أطلقه على هذا النبات فهو «Catha edulis» ويتراوح طول شجرة القات بين خمسة وعشرة أمتار .

وأوراق الشجرة بيضاوية مُدببة . وتُقطف للمضغ ، وهى صغيرة السن يبلغ عُمرها أياماً أولا يزيد عن أسابيع قليلة .

ويرى بعض المؤرخين أن القات وُجد أول ما وُجد فى منطقة تركستان أو أفغانستان . ويعتمد هذا الرأى على ما ذكره البيرونى فى «كتاب الطب» . وجاء فيه مايأتى :

- «القات شىء مستورد من تركستان ، طعمه حامض .. ولون القات أحمر مع رثة من السواد .. وهو يُبرد الحُمى .. ويُريح الصفراء ، ويُبرد المعدة والمصران» .

وقد عاش البيرونى فى الفترة ما بين عام ٩٧٣م وحتى عام ١٠٥١م .

ويبدو فى حدود الوثائق التاريخية القليلة المتوافرة حول الموضوع ، أن شيوع عادة مضغ أوراق القات فى منطقة جنوب البحر الأحمر وبخاصة فى اليمن والحبشة يرجع إلى حوالى القرن الرابع عشر الميلادى ، وقد ورد ذكر ذلك عرضاً فى وثيقة تاريخية حبشية «مكتوبة باللغة الأمهرية» تصف حملة تأديبية قام بها جنود الملك المسيحى «عمدا سيون» «من الحبشة» ضد الملك المُسلم «صبر الدين» «فى اليمن»، وتؤرخ هذه الوثيقة بالعام ١٣٣٠م. كذلك يرد ذكر القات فى كتاب لمؤرخ عربى يُدعى «ابن فضل الله العمرى»

كُتب بين سنتى ١٣٤٢م إلى عام ١٣٤٩م ، وفيه يورد الكاتب قصة عن كيف ورد القات «بعادات مضغه» من الحبشة إلى اليمن . كما يشهد المقريزى فى رسالة له بعنوان « الإلمام بأخبار من فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام» «وقد عاش ما بين عامى ١٣٦٤م و ١٤٤٢م» بوجود شجرة من أرض الحبشة تُسمى «بالقات» وهى شجرة لا تُعطى فواكه ، ولكن السُكان يأكلون أوراقها الصغيرة.. هذه الشجرة تنشُط الذاكرة ، وتُذكر الإنسان بما هو منسى ، كما تُضعف الشهية والشهوة والنوم . . » ، ويبدو أنه ثار جدل بين اليمنيين خلال القرن السادس عشر الميلادى حول ما إذا كان يسرى على القات ما يسرى على الخمر من تحريم باسم الدين ، فلجأ إلى استفتاء أهل الفتوى ، وكان من بين هؤلاء شهاب الدين أحمد بن محمد على بن حجر الهيثمى السعدى ، وكان مُقيماً فى مكة ، وقد استُشكل أمره عليه على أثر تباين أقوال مُتعاطيه بين قائل بتخديره وقائل بأنه لا يؤثر على الجسم . .

«فنتج عن هذا كُله أن لا طريق لنا إلى العلم بحقيقته إلا مُجرد الخبر المتواتر من متعاطيه بما يجدونه منه ، ولم يتم لما علمت من الخلاف والاختلاف ؛ إذ القائلون بالحل ناقلون عن عدد متواتر أنه لا ضرر فيه بوجه ، والقائلون بالحُرمة ناقلون عن عدد متواتر أنه فيه آفات ومفاسد منها : أنه مُخدر ومُغيب ومُسكر ، فأحد الخبرين كاذب قطعاً مع رعاية العموم سلباً وإثباتاً وقد استمر الجدل حول موجبات تحريم القات أوحلّه ولا يزال مستمراً حتى الوقت الحاضر . وتُشير دراسات كثيرة حول التاريخ الاجتماعى لتعاطى القات فى اليمن إلى أنه مر بمرحلة فى بداية تاريخه خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر كان مقترناً فيها بالشرائح الفقيرة فى المُجتمع ، غير أنه اتجه بعد ذلك تدريجيًا إلى الاقتران بالشرائح الغنية ذات النفوذ ، وفى

ذلك يقـول سـيـرجنت «R.B. sergeant» وهو أحـد أعـلام الدارسـين للحـيـاة اليـمنية : «إن القـات كـان مقبـولاً وكان تناوله شـائعاً بين الصـفـوة الحـاكمـة فى القـرن الثامن عـشر» «وهو مـا نستنتجـه . من سيـرة أحد أحـفاد الإمام المتوكل إسـمـاعيل الذى كـان يُحب نعيم الحيـاة كـمـا يُحب الأدب .. وكـان يتـجـه إلى الخلوة أحيـانـاً للتعبـد والصـلاة ، وكـان مولعاً بأكل القـات» جدير بالذكـر أن جـميع البُلدان المعروفة بانتشـار القات فيـهـا ، سواء الدول العربيـة أو الدول الإفـريقـيـة حـاولـت فى أوقـات مـخـتلفة أن تكافـح انتـشـار القـات فيـهـا ، لكن المحـاولات باءت بالفشل لأسبـاب متعـددة ، منهـا أن انتـشـار القـات فى تلك الدول أقرب إلى الظاهرة الاجتـمـاعيـة منه إلى الانتـشـار الوبائى الإدمـانى ، فـهو فى حيـاة اليـمن مثلاً منسوج نسـجاً مُحكمـاً مع كـثير من الوظائف والظواهر الاجتمـاعيـة الأُخرى . ومنهـا كـذلك أن تلك المـحـاولات لم تكن تُمـثل سيـاسـة ثابتـة واضـحـة المعـالم والأهداف على مـدى فتـرات زمنيـة طويلة ومنهـا كـذلك تضارب الآراء ذات الطابع الأيديولوجى حول هذا النبات وممارسـات تناولـه .

ومع ثلاثينـات القـرن العـشـرين بـدأ الاهتـمـام الـدولى بتعـاطى القـات يـأخـذ حجـمـاً مـشـهـوداً . فقـد كُتب فى هذا الصـدد تقـارير وعُقدت مؤتـمـرات تحت رعاية عُصبة الأُمم المتحدة وهيئة الصحة العـالمية ، والمنظمـة العربية للدفاع الاجتماعى ، والمجلس الدولى للكحوليات والمخدرات .

وتزامن مع هذا الاهتـمـام الدولى المتـزايد بالموضوع اهتـمـام مُمـاثل آخذ فى التصـاعـد بين المـثقـفين اليـمنيين ، وقـد علت أصواتـهم بوجه خـاص فى أوائل الثـمـانينات مع أحـدث المـحـاولات الرسـمـيـة للقـضـاء على الظـاهرة ، وهى المحاولة التى فشلت كما فشلت سابقاً .

المهلوسات

يُستخدم مُصطلح المهلوسات للإشارة إلى مجموعة من المواد النفسية التي تُثير عند من يتناولها بعض الهلوسات دون أن يصحبها هذيان ، أو تخميد أو تنبيه كتأثير بارز .

ويُشار بمصطلح الهلوسة إلى أى تنبيه حسى نوعى دون وجود مُنبه محسوس مُلائم . ومن ثم فهناك هلاوس بصرية «أى رؤية أشياء غير موجودة أصلاً» وهلاوس سمعية ، وشمية ، ولمسية . ويُفضل البعض تسمية هذه المواد بـ «المخادعات» نسبة إلى الخداع ، وذلك على أساس أن إثارة هذه المواد للهلوسات بالمعنى الدقيق للكلمة لا يحدث إلا نادراً أما مايحدث فى كثير من الأحيان نتيجة لتناولها فهو الخداع البصرى والسمعى .... إلخ .

كأن أرى الوجوه مشوهة كما نراها فى المرايا المعوجة ، وفى هذه الحالة يكون الوجه المرئى أمامى فعلاً ولكنه يبدو منبعجاً من ناحية وأفطس من ناحية أُخرى .. ولكننا سنستقر فى كتابنا هذا على استخدام المصطلح الشائع ، وهو «المهلوسات» .

وقد عرف الإنسان مُنذ الأزمنة القديمة طريقة إلى استخدام المهلوسات لأغراض دينية أو شبه دينية غالباً «سحرية» ويُقال :إن الهاتف فى معبد «دلفى» عند الإغريق كان يُستحدث فى نفسه حالة الهلوسة باستنشاق ثانى أوكسيد الكربون الذى كان ينبعث فى الأبخرة الصادرة عن بعض الشقوق الصخرية وفى المكسيك كان الوطنيون القُدامى يتناولون نوعاً من نبات الصبَّار لأغراض مُماثلة .

وتضم فئة المهلوسات عدداً من المواد النفسية ذات التراكيب الكيميائية

المُستخدمة ، نذكر من بينها العقار المعروف باسم L.S.D، والمسكاين ، والأتروبيين ، والسكوبولامين ، والفنسايكليدين ، والقنب «يُصَنَّف القنب أيضاً ضمن المهلوسات باعتبار بعض تأثيراته مُهلوسة لمُتعاطية » .

ولن نتكلم في مؤلفنا هذا عن هذه المواد جميعاً ، بل سنقتصر على الكلام عن الـ L.S.D . كنموذج يُمثل إلى حدما المواد المُصنفة كمهلوسات ، وهو معروف أكثر من غيره من هذه الفئة من المواد «فيما عدا القنب» في مصر وبعض البلاد العربية . ويرجع تاريخه إلى سنة ١٩٣٨م حينما تمكن الباحث الكيميائي السويسرى «ألبرت هوفمان» من تركيبه في معامل شركة ساندوز في بازل بسويسرا . وقد أسماه حينئذ بـ« L.S.D » وهو اختصار لكلمة «Lyselgic a cid diethylamide» لكن «هوفمان» لم يعرف الخصائص النفسية لهذا العقار إلا في عام ١٩٤٣م ، وكان ذلك مُصادفة عندما تناول عن غير قصد كمية ضئيلة منه فإذا به يتعرض لتأثير غير متوقع . فما كان منه كعالم جاد، إلا أن سارع إلى كُراسة مذكراته ليدون فيها ملاحظاته على نفسه، على النحو التالى :

يوم الجُمعة الماضى ١٦ أبريل ، اضطررت إلى أن أُغادر المعمل وأتجه إلى بيتى ، إذ انتابنى شعور غريب بالقلق والدوخة . وهُناك استرحت ، ووجدتنى أغوص في هذيان غير مُزعج تُميزه درجة واضحة من التهويم . وقد رأيت وأنا مغمض العينين فيما يُشبه السُّبات «النوم» مشاهد تهويمية بالغة الحيوية مصحوبة بتغيرات لونية صارخة لا تكف عن أن تتراقص من حولى . وبعد ساعتين تلاشت هذه الحالة ... جدير بالذكر أننى لم أقترب في يوم الجُمعة ذاك من أية مواد غير عادية سوى مادتين منها L.S.D ، إذ كُنت أحاول بشتى

الطُرق أن أُنقى هاتين المادتين بتكثيفهما وكذلك بتحليلهما إلى مكوناتهما .

وقد استطعت ، فى تجربة تمهيدية ، أن أنجح فى تكوين بضعة مللجرامات من حامض «الليسيرجيك ديثايلا مايد» كبلورة سريعة الذوبان . . وقد رأيت أنه من المُحتمل أن أكون قد امتصصتُ حينئذ ما يكفى من تلك المادة لإحداث الحالة التى وصفتها . ومن ثم فقد عزمت على أن أسبر الموقف ، فقررت أن أُجرب على شخص مفعول بلورة من حامض «الليسيرجيك ديثايلامايد» هذا ، فإذا كانت هذه المادة هى السبب فيما جرى لى ، فلابد أنها مادة فعالة حتى فى مقاديرها الطفيفة. وفعلاً قررت أن أبدأ بكمية صغيرة جداً وتناول هوفمان عن طريق الفم ٢٥٠ ميكروجراماً من الـ L.S.D «علماً بأن الميكروجرام الواحد يساوى جزءاً من مليون جزء من الجرام وبعد حوالى ٤٠ دقيقة لاحظ على نفسه شعوراً بالدوخة ، والقلق ، والعجز عن التركيز ، كما لاحظ اضطراب الإبصار مع اندفاع فى الضحك لا يقاوم » .

ويواصل هوفمان مُذكراته قائلاً :

عند هذه النُّقطة يتوقف تدوينى فى كراسة المعمل . وقد كتبت الكلمات الأخيرة فيها بصعوبة شديدة . وطلبتُ من مساعدى أن يصحبنى إلى البيت لأنى توقعت أن يتطور الموقف ليُشبه ما حدث معى يوم الجُمعة الماضى . ولكن فى الطريق إلى المنزل وجدت أن الأعراض تطورت بصورة أشد كثيراً مما حدث لى فى المرة الأولى ، إذ وجدت صعوبة شديدة فى أن أتكلم كلاماً سليماً . كما أن مجال إبصارى جعل يتأرجح وأصبح مشوهاً كالانعكاسات التى نراها فى مرايا حدائق الملاهى . كذلك شعرت بأننى لا أكاد أتحرك ،

ومع ذلك فقد أخبرني مُساعدى فيما بعد بأنني كُنت أتحرك بدراجتي بسرعة وبقدر ما أستطيع أن أتذكر فقد تميزت قمم الأزمة بالأعراض الآتية :

دوخة ، تشوهات بصرية ، وجوه الحاضرين تبدو كالأقنعة القبيحة الملونة، استثارة عنيفة يليها ما يُشبه الشلل ، الأطراف تبدو أحياناً باردة ومخدرة ، مذاق معدنى فى اللسان ، الزور جاف ومجمد، شعور بالاختناق ، خلط يليه تقدير واضح للموقف ، أقف أحياناً خارج نفسى كمشاهد مُحايد وأسمع نفسى أُهمهم بما لا يُفهم أو أصرخ شبه مجنون . وبعد ست ساعات من تناولى العقار بدأت حالتى تتحسن ، لكن التشوهات الإدراكية ظلت قائمة. وقد بدا كُل شئ وكأنه يتماوج ، وقد تشوهت أبعاد الأشياء .. كان كُل شيء يتحول ؛ إذ تغلب عليه نغمة لونين بين الخُضرة والزُرقة السامة غير المبهجة وعندما أغمض عينى تدهمنى صور تهويمية متعددة الألوان دائمة التحول . واسترعى انتباهى بصورة خاصة أن الأصوات كانت تتحول إلى إحساسات بصرية حتى إن كُل نغمة أو كُل صورة كانت تصدر عنه وتُضاهيه صورة ملونة.

هذه مقتطفات من مذكرات «ألبرت هوفمان» مكتشف حامض «الليسيرجيك دايثايلا مايد» كتبها عام ١٩٣٤م أى بعد حوالى خمس سنوات من الاكتشاف الذى كان من الممكن أن يمر بهدوء ، لولا أن وقع له الحادث الذى تناول فيه العقار مُصادفة .

كما تُشير بعض الدراسات إلى أن التعاطى المتكرر لهذا العقار يؤدى إلى الإضرار بوظيفتى الإدراك البصرى «العمى» والتوجه فى المكان «التوازن» ، وقد يُصبح الضرر الناتج مُزمناً . كذلك تُشير إلى إضرار وظيفة التفكير المجرد .

الباربيتورات

تندرج هذه المجموعة من المواد النفسية تحت فئة «المُخمدات المنومة» علماً بأن الفرق بين المادة المنومة والمادة المُخمدة هو مُجرد فرق في الدرجة.

وتُعتبر الباربيتورات «وهى أملاح حامض الباربيتوريك» أقدم مُفردات هذه الفئة وأكثرها انتشاراً ، وقد اكتشفت عام ١٨٦٢م ، اكتشفها «ألفرد باير» ويقال : إنه أطلق عليها هذا الاسم ؛لأن هذا الاكتشاف وقع له فى عيد القديسة باربرا الموافق ٤ ديسمبر عام ١٨٦٢م . وأول ما عُزل من هذه الأملاح هو الباربيتون «المعروف باسم فيرونال» ودخل فى الاستعمال الإكلينيكى عام ١٩٠٣م على يد «فون ميرنج» و «فيشر» وبعد تسع سنوات تم تكوين «الفينوباربيتون» «لومينال» ثم تبعه «الأميلوباربيتون» «أبيتال» عام ١٩٢٣ م ، وتوالى بعد ذلك التكوين المعملى لمئات من هذه «الباربيتورات» ومن أشهرها «الكوينااليا ربيتون» «سيكونال» عام ١٩٣٠م ، والشيوبنتون «بنتوثال» عام ١٩٣٥م . وقد استمر نشاط العُلماء الباحثين طلباً لمركبات تتباين خصائصها التخديرية ، وتوصلوا من ذلك إلى تركيب «باربيتورات» بطيئة البدء فى التأثير ، لكن تأثيرها يمكث مدة طويلة ، وأُخرى قصيرة جداً فى مدى استمرار تأثيرها ، وثالثة متوسطة فى مدى التأثير إذ يمكث من ٣ ـ ٦ ساعات ... إلخ . ويرى أهل الاختصاص أن «الباربيتورات» تُمثل خطراً حقيقياً فى عالم المواد النفسية لكنها استمرت فترة طويلة لا تُثير من الاهتمام ما يكفى للإقلال من أخطارها إن لم يكن لتحاشيها ، ويستشهدون على ذلك بأن من يُدعى الدكتور «ولكوكس» نشر مُنذ عام ١٩١٣م عن

الأخطار المُميتة لعقار «الفيرونان» «الباربيتون» الذى بدأ استعماله إكلينيكياً مُنذ عام ١٩٠٣م ، ولكن أحداً لم يلتفت إليه إلا فى الخمسينات من هذا القرن ، وذلك عندما نشرت مجلة «اللانست» «Lancet» فى افتتاحيتها أن الباربيتورات مواد نفسية مُحدثة للإدمان فعلاً ، وأن استعمالها ينطوى على مُخاطرة لا تلقى من الحذر ما تستحقه . وفى الوقت نفسه نشرت «المجلة الطبية البريطانية» فى افتتاحيتها أن الباربيتورات تحتوى على كُل خصائص المواد المُحدثة للإدمان .

الأمفيتامينات

يبدأ تاريخ الأمفيتامينات فى سنة ١٨٨٧ حينما تمكن «إديليانو» من تكوينها معمليًا وكان أول من وصف آثارها السيكوفارماكولوجية «جوردون أليس» فى سنة ١٩٢٨م وسرعان ما سوقتها الشركة الدولية الكُبرى «سميث» و «كلاين» و «فرنش» للاستخدام من خلال بخاخة للاستنشاق يستعملها من يعانون من التهاب أغشية الأنف المُخاطية واستخدمت الشركة حينئذ اسماً تُجارياً للمادة الدوائية هو البنزدرين وفى سنة ١٩٣٥ م صنعت المادة فى شكل أقراص واسْتخدمت لعلاج حالات النوم القهرى . وفى ذلك الوقت بدأت تُشاع حولها شائعات «لم يتثبت أحد من قيمتها بالأساليب التجريبية المعروفة لنا الآن» عن فوائدها العلاجية المتعددة . من ذلك مثلا تعميم استخدامها لعلاج الاكتئاب وإدمان الكحوليات والصرع وكف الشهية للطعام.

وبعد قليل (فى أوائل الأربعينيات) بدأ استعمال الأمفيتامينات يشيع بين الطلاب ليتمكنوا من مقاومة النوم والاستزادة من استذكار الدروس فى مواسم

الامتحانات ، ثم تلا ذلك شيوع شُهرة هذه الأدوية خارج النطاق الأكاديمى بين الرياضين وسائقى الشاحنات الكبيرة وسباق الخيول ، ومع تصاعد المجهود الحربى نتيجة لاشتراك الولايات المتحدة فى الحرب العالمية الثانية بدأ استخدام هذه الأمفيتامينات بين الجنود «خاصة فرق المدفعية ، والفرق المحاربة فى أدغال جنوب شرق آسيا » وكان هذا الاستعمال يتم بصفة رسمية إذ يُصرف لكل جندى نصيبه من الحبوب بالإضافة إلى ما يُصرف له من أطعمة ومشروبات وقد قدر بعض الخبراء حجم ما صُرف للجنود على هذا النحو بما يقرب من ١٨٠ مليون قرص وكان من الأمور المعروفة حينئذ أن اليابانيين والألمان يزودون جنودهم بهذه الأقراص بصفة منتظمة وكان من بين الآثار المُترتبة على هذا الوضع أن الحرب انتهت لكن الأمفيتامين والطلب عليه استمر وأُغرقت الأسواق اليابانية المدنية بهذه الأقراص . وبدأت البوادر تتجمع مُشيرة إلى قُرب قُدوم وباء إدمان الأمفيتامين وبلغ الوباء ذروته فى سنة ١٩٥٤م حيث قدر المختصون متعاطى هذا العقار بين أفراد الشعب اليابانى بحوالى مليونْ ونصف المليون فرد .

ومع الشعور بالخطر حزمت الحكومة اليابانية أمرها فقضت على الوباء فى سنة ١٩٦٠ . وفى الولايات المتحدة انتشر تعاطى الأمفيتامينات أيضًا فى فترة الحرب وما بعدها ولكن بشكل مختلف بعض الشيء فقد انتشر استخدام بخاخة الاستنشاق بصورة مريبة وتبين أن البعض يكسرون البخاخة ويمضغون الورق المشبع بمادة الأمفيتامين الموجود بداخلها وذلك للتغلب على ماحدث من تعديل فى القانون يجعل بيع الأمفيتامين مشروطًا بالوصفة الطبية ، فإذا لم تتوافر الوصفة فالبيع غير مشروع . ويقال :إن شركات الأدوية حاولت التغلب على ما يفعله المتعاطون ؛ إذ يكسرون البخاخات

فحاولت في مقابل ذلك أن تصنعها من مادة صلبة غير قابلة للكسر. وفى أوائل الخمسنيات شاع صنع بخاخات قابلة للكسر مرة أخرى . فعادت الأمور القهقرى إلى أسوأ مما كانت عليه ولم يمكن للدولة أن تسيطر على الموضوع إلا عندما تقرر إدخال البخاخات نفسها ضمن قيود البيع المشروط بوجود الوصفة الطبية وكان ذلك سنة ١٩٥٩ . وفى خلال الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٢ ظهرت بوادر انتشار وبائى لتعاطى الأمفيتامين بالحقن فى الوريد فى منطقة سان فرانسيكو . ويقرر المختصون أن التصنيع غير المشروع للميتامفيتامين القابل للحقن ازداد نشاطًا بعد سنة ١٩٦٣ وخاصة فى كاليفورنيا وكان معنى ذلك أن زبائنه قد ازدادوا عددا واطردت هذه الزيادة حتى بلغت الذروة حوالى سنة ١٩٧٢ ، ثم تراجعت بعد ذلك بسرعة ملحوظة وخاصة بين المعتادين التعاطى المكثف . ويرجع هذا التناقص إلى عوامل متعددة ؛ من أهمها تناقص عدد الوصفات الطبية التى تصف الأمفيتامين دواء مشروعًا ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اللجوء إلى التشريعات التى تزيد من قبضة الحكومة (على مستوى الولايات المتحدة وعلى المستوى الفيدرالى) على تصنيع الأمفيتامين وتوزيعه كما تغلظ العقوبة على المتعاطى.

الطباق

(التبغ ـ النيكوتين)

عرفت أوروبا تدخين الطباق على أثر نقله إليها من القارة الأمريكية بعد أن تم اكتشافها (فى أواخر القرن الخامس عشر) . وقد لقى تدخين هذا العشب منذ المراحل المبكرة فى تاريخ ظهوره كثيراً من الخلاف فى الرأى شأنه فى

ذلك شأن الكثير من المواد النفسية فمنذ سنة ١٦٠٤ أعلن الملك «جيمس الأول» فى إنجلترا غضبه على تدخين الطباق وشبهه بشرب الكحوليات حتى السكر، وهناك تاريخ طويل لمحاولات القضاء على هذه العادة فى كثير من المجتمعات الغربية والشرقية تتخلله كثير من أخبار النجاح الملحوظ أحيانًا وأخبار الفشل المريع أحيانا أخرى. ويقال :إن الانتشار الشديد للتدخين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين جاء مصاحبًا لعاملين على جانب كبير من الأهمية الاقتصادية أحدهما؛ تضيع السجائر على نطاق واسع والآخر تقدم أساليب الإعلان وتشير أحدث التقارير الصادرة عن وزارة الصحة والخدمات الإنسانية فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن تدخين الطباق إنما يتم طلبًا للتأثير الذى يسببه النيكوتين وينص التقرير صراحة على التشابه الأساسى بين الاعتماد على النيكوتين والاعتماد على أى مادة نفسية أخرى محدثة للاعتماد ، فهو ينطوى على ظهور أنماط قهرية للتعاطى، كما أن تعاطيه يتم على الرغم من معرفة المتعاطى بأضراره كما أن اللهفة والانتكاس يترتبان على الانقطاع عن تعاطيه حتى ولو كان الانقطاع لفترة وجيزة. ثم إن استمرار التعاطى يصحبه ظهور التحمل والاعتماد العضوى كما يدل على ذلك واعراض الانسحاب وعلاماته وتشير الدراسات التجريبية المنضبطة إلى أن أعراض الانسحاب التى تصحب الانقطاع عن التدخين تترتب على فقدان مادة النيكوتين لا على مجرد الانقطاع عن ممارسة بعض العادات أو الطقوس السلوكية .

***

البــــن ـ الشــــاى

(الكفايين)

نتكلم فى السياق الراهن عن البن والشاى معًا ، لأن ما يعنينا هوالعنصر الفعال ، وهو واحد فى كل منهما ويسمى الكوفايين وتشير بعض الآثار إلى أن الشاى كان معروفًا فى الصين منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف عام وإن كانت الكتابات التى تذكره صراحة لا ترجع إلى أبعد من سنة ٣٥٠ ميلادية . أما بالنسبة (للبن والقهوة) فليس لدينا من الإشارات التاريخية ما يشهد له بتاريخ مماثل فى القدم ، ومع ذلك فيبدو أن الشعوب العربية (فى شبه الجزيرة العربية) كانت تشربه منذ ألف سنة على الأقل . ويبدو تاريخ تقديم الشاى للمواطن الأوربى مرتبطا بتاريخ شركة الهند الشرقية فى أوائل القرن السابع عشر وكما قوبل العنب عند دخوله مصر فى القرن الثانى عشر الميلادى بالكثير من الجدل بين من يرتضون تناوله ومن ينهون عنه ، وهو ما حدث أيضا مع الكثير من المواد النفسية الأخرى مثل الأمفيتامينات والكوكايين والطباق وقت دخولها كثيراً من البلدان ، كذلك حدث الشىء نفسه مع القهوة والشاى ، فقد صدرت على مر التاريخ الحديث قرارات عدة فى دول مختلفة تحرم شربها ، ثم عدل عن هذه القرارات استناداً إلى مبررات متعددة وجدير بالذكر هنا أن الجدل لا يتناول كون هذه المادة أو تلك (القافين أو أى مادة أخرى) تؤثر على المخ ومنه على السلوك والمزاج ، هذا الشىء لا يتناوله الجدل فالكل مسلم بأن الكفايين ذو تأثير تنشيطى (أو تنبيهى على المخ) ولكن الجدل ينصب على احتمالات التمادى فى تناوله وما يترتب على ذلك من أضرار . ومن أوضح مظاهر هذا الجدل تردد العلماء فى تصنيف مادة الكفايين ضمن المواد الترويحية .

ومن ثم نجد أن نظام التصنيف الأمريكي للاضطرابات النفسية الصادر سنة ١٩٨٠ والمعروف باسم DSM III يذكر «التسمم الكفاييني» والاضطراب النفسي العضلي المرتبط بالكفايين ويقدم قائمة تحتوى على اثني عشر عرضا وعلامة كمعايير لتشخيص التسمم الكفاييني فى حين أن نظام التصنيف المناظر له والصادر عن هيئة الصحة العالمية وهو المعروف باسم The ICD - 10 ICD أو Classification 10 -

المواد الطيارة (أو المذيبات العضوية)

يعتبر استنشاق المواد الطيارة أحد جوانب مشكلة تعاطى المواد النفسية والاعتماد عليها . وتشترك المواد المصنفة تحت هذه الفئة فى سرعة تحولها إلى أبخرة وفى كونها تحدث درجة من التسمم عند استنشاقها ومن أكثر هذه المواد انتشارا الهيدروكربونات الطيارة . وهذه توجد فى مذيبات الطلاء وفى أنواع الأصماغ أو الغراء وأشهر مفرداتها : التولوين والنزين وتوجد مفردات أخرى (تباع جاهزة فى الأسواق لاستخدامات متنوعة) وربما كان أكثرها ذيوعا بعض المواد المزيلة للبقع فى الملابس والمفروشات والإسيتون المعروف استخدامه فى إزالة طلاء الأظفار وأنواع الأيروسول التى يكثر استخدامها فى المنازل ضد الذباب وبعض الحشرات الطيارة . وقد عرفت البدايات الأولى فى تاريخ الإنسانية لهذه الظاهرة منذ عهود بالغة القدم حين كان الإنسان القديم يلجأ إلى استخدام بعض المواد ذات الروائح والأبخرة النفاذة كوسيلة إلى تغيير الحالة النفسية أو العقلية فى سياق طقوس تجرى ممارستها لأغراض سحرية أو دينية ولكن البدايات التى عرفها المجتمع الإنسانى الحديث ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وعلى امتداد القرن

التاسع عشر وهى بدايات وظفت لغرض لا علاقة له بالسحر ولا بالممارسات الدينية ، ولكن لتحقيق عملية التغيير فى الحالة النفسية أو العقلية ولا شىء غير ذلك ، وهو جوهر عملية التعاطى ، المؤدى إلى الاعتماد . وتأتى هذه البداية الحديثة مع ظهور ما عرف باسم الغاز المضحك الذى اكتشفه جوزيف بريستلى ١٧٧٦ ، إذ سرعان ما تبين أن من خصائص هذا الغاز أنه يثير الضحك لدى مستنشقه. ومن ثم فقد سارع البعض إلى استغلال هذه الحقيقة لأغراض ترويحية ، وذلك بالدعوى إلى حفلات ترويحية جماعية يكون البند الرئيسى فيها هو استنشاق هذا الغاز واستثارة موجات من الضحك بين جموع الحاضرين . وفيما يلى مثالاً لإعلان صدر بهذا الشأن سنة ١٨٤٤ فى مدينة هاتفور بولاية كوينتيكت بأمريكا «هذا المساء سيجرى عرض كبير للغازات المضحكة .. فى قاعة الاتحاد ـ الثلاثاء ١٠ ديسمبر ١٨٤٤ . سنقدم ثمانين لترا من الغاز لمن شاء من الحضور أن يستنشقه . وقد تطوع لهذا الغرض ١٢ شابا بصحة جيدة وذلك لكى يبدأوا العرض .

كذلك جرى تعيين ثمانية رجال أشداء للحضور فى الصف الأول وذلك لمنع أى شخص من أن يوقع الأذى وهو تحت تأثير الغاز بنفسه أوبالغير ، ولكن من غير المحتمل أن تنشب أى معارك بين الحضور كذلك عرف تأثير الغاز المضحك فى السويد منذ وقت مبكر ، وقد وصفه «بوكنر» وصفًا علميًا مفصلا فى سنة ١٨٢٨ وجاء فى وصفه ما يلى (وقد استنشقت أنا نفسى ما يتراوح بين ٧٠,١٠٠ أوقية من هذا الغاز دون أن يصيبنى أذى.

يبدأ عند المرء أولا إحساس بالدوخة يتبعه شعور سار، لكنه لا يلبث أن يختفى) كذلك عرف فى وقت مبكر تأثير الأثير وقد يتراوح طريقة تعاطيه بين الاستنشاق والشرب وقد تبين للبعض منذ بداية تاريخه أن له تأثيراً شبيهصا بتأثير الكحول ومن ثم فقد عرف عنه أنه يحل عند الكثيرين محل

شـرب الكحـوليـات عنـدمـا ترتـفـع أثمـان هذه الأخيـرة أو تشـتـد القـيـود على تداولـهـا ومن ذلك مـا حـدث فى إنجلترا عند نهـاية القـرن التـاسع عشـر وبداية العـشرين . وفى خلال الحرب العـالميـة الثـانيـة انتـشـر شـرب الأثيـر فى ألمـانيـا نتيجـة ارتفـاع شـديد فى أثمـان الكحـوليـات المتوفـرة حينئذ . كـذلك انتـشـرت فى السـويد والنـرويج حوالى أوائل القرن العشرين عملية إضـافـة بضـع قطرات من الأثير إلى القهوة ، وسـارعت بعض شركـات الأدوية إلى صنع مستحضرات طبيـة تحتـوى على الأثير وتبـاع بشكل قانونى ومن أشهـر هذه المستحضرات قطرات هوفـمـان ، وقطرات الدكتور هولز . جدير بالذكر هنا أنه كلمـا كـانت تظهـر فى تلك الفـتـرة المبكرة وحتى قيـام الحرب العـالمـيـة الثـانيـة دراسـات علمية جادة تتنـاول التعاطى الضار لهذه المواد، الأثير وغيره .

تعقيب

إلى هنا وتنتهى هذه الجولة حول أشهر المواد النفسية التى يشيع تعاطيها فى مختلف المجتمعات ، بهدف تغيير الحالة النفسية المزاجية أو العقلية لدى المتعاطى، والتى يمكن أن تحدث الاعتماد . وقد اهتممنا فى هذه الجولة أساساً بإلقاء الضوء على تاريخ هذه المواد ؛ لأن جلاء هذا التاريخ من شأنه أن يزيد من تعميق فهمنا للتعاطى والسكر كظاهرة لها أبعاد اجتماعية بالغة التشابك وليست مجرد ممارسات يقوم بها عدد محدود من الأشخاص بعبارة أخرى إننا قصدنا بهذه الجولة إلى أن نلقى الضوء على السياق الاجتماعى التاريخى الذى يحيط بهذه الممارسات فيعطيها جزءاً من معناها من ناحية ويفسر من ناحية أخرى استمرار الظاهرة بأشكال لا تكف عن التجدد والتعدد.

١ ـ أن جميع المواد النفسية ذات الأصول النباتية (الكحوليات والأفيون والقنب، والكوكايين، والقات، والطباق، والبن، الشاى) تمتد جذورها التاريخية إلى عدة قرون فى ماضى بعض المجتمعات البشرية وفى رأينا أن هذا العنصر وحده «نعنى التاريخ الطويل» يفسر جزءا من رسوخ ممارسات تعاطى هذه المواد واستعصائها على محاولات الاستئصال التى تقوم بها الدول والمنظمات الحديثة .

٢ـ أن معظم هذه المواد النفسية ذات الأصول النباتية لها تاريخ مشبع بكثير من المعانى والقيم التى تستثير رواسب من مشاعر التقديس الدينى أو شبه الدينى ؛ نظراً لتشابك هذا التاريخ مع تاريخ الممارسات الدينية والسحرية فى ماضى العديد من المجتمعات . ويلقى هذا العنصر أيضًا مزيداً من الضوء على الرسوخ الشديد الذى تتسم به ظاهرة الإقبال على تعاطى هذه المواد (ونعنى هنا الظاهرة فى شكلها الاجتماعى العام والذى يجعلها تبدو كالأخطبوط متعدد الرءوس كلما قطعنا منه رأسًا حلت محلها رءوس أخرى متعددة، كذلك يلقى هذا العنصر بعض الضوء على المستويات النفسية العميقة الكامنة وراء كَيْفِ الخبرة النفسية التى ينشدها متعاطى الكثير من هذه المواد ،وهى الخبرة النفسية التى يمتزج بها السرور بالسكينة والتنبه الهادئ .

٣ ـ أن المواد النفسية التى تم اكتشافها وتصنيعها كميائيًا فى العصور الحديثة «مثل بعد المهلوسات ، والباربيتورات والأمفيتامينات . وبعض المواد الطيارة التى لقيت أنواعًا من الدعم الاجتماعى لا يمكن إنكار فاعليته وقد صدر هذا الدعم عن كثير من المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية يدخل تحت هذا البند تصريحات مشاهير الأطباء وممارسات

شـركـات الأدوية وتصـرفـات الدولـة الحـديثـة تحت وطأة بعض الظروف التاريخية ولا سيما الحروب . وما يهمنا فى هذه النقطة هو أن ننبه القارئ إلى أن السيـاق التـاريخى الذى اكتنف الصورة التى قدمت بها هذه المواد للفرد العـادى سيـاقًا ينطوى على تناقض صارخ تورطت فيه كثير من مؤسسات المجتمع التى يفترض فيها أنها تمثل السلطة العلمية (الأطباء مثلاً) أو السلطة القانونية ومما يزيد من سوءات هذا التناقض أن يقع فى فترة زمنية قصيرة بحيث يعاصره من أوله إلى آخر جيل واحد من المواطنين وأوضح الأمثلة على ذلك الأمفيتامينات وما فعلته الدولة الحديثة بها فى أثناء الحرب العالمية الثانية ثم ما فعلته بها بعد الحرب مباشرة .

والخلاصة : أن هذا الفصل يقدم للقارئ لمحات من التاريخ الاجتماعى للمواد النفسية المُحدثة للإدمان وفى هذا السياق يُلقى الضوء على عدد من العوامل الاجتماعية المسئولة عما تتميز به ظاهرة التعاطى من رسوخ يجعلها تستعصى على الاستئصال وانتشاراً لا يكاد يفلت من شباكه مجتمع على ظهر الكرة الأرضية .. هذه العوامل الاجتماعية التاريخية لا يمكن تجاهلها أو الإقلال من شأنها فى أية محاولة جادة للفهم العميق لظاهرة التعاطى والاعتماد بدعوى التركيز على الكشف عن العوامل النفسية التى تحرك المتعاطين فالعوامل النفسية برغم أهميتها لا يكتمل فهمها وتفسير عناصرها الرئيسية دون العناية بإبراز البُعد الاجتماعى التاريخى للظاهرة ـ بعبارة أخرى إن قوانين الدعم النفسى لممارسات التعاطى والإدمان لا تستطيع أن تُقدم تفسيراً شاملاً للظاهرة فى جميع مستوياتها ولكن لابد للاقتراب من هذا التفسير الشامل من أن ندخل فى حسابنا عوامل الدعم الاجتماعى التاريخى.

ونجد أن المُجتمع كلما ابتعد عن الدين وعن الأفكار التربوية السليمة كُلما زاد الإدمان وزاد المدمنون باستمرار ، بالرغم من أنه عندما يُدمن الشخص أو يتعاطى أى شيء من المواد السابقة الذكر فإنه يخرج من نطاق الآدمية إلى نطاق البهيمية ، حيث إنه يتخلص من أهم شيء وهبه الله له وهو العقل الذى ميز به الله الإنسان على سائر مخلوقاته حتى الملائكة المكرمين.

ومما سبق نجد أن أثر المخدرات والكحوليات خطير وقاتل لجميع الطاقات الشبابية التى تسعى الدول لبنائها وتنميتها ... ولهذا وجب علينا نحن الشباب أن نبتعد عن مثل هذه السموم ، وليس ذلك وحسب ولكن يجب أيضاً أن نُحاربها بكل ما أوتينا من قوة .

★★★



الفصل الثامن

وصايا غالية للوالدين

وصايا غالية للوالدين

الأسرة هي المجتمع الأول للطفل وتكاد تكون الأداة الوحيدة التى تعمل على تشكيل شخصية الفرد وبلورة الخصائص التى يتميز بها كفرد له دور اجتماعى معين وتتم عملية التشكيل بحسب الأنماط الثقافية للمجتمع وبحسب الإطار الاجتماعى الذى يتحرك فيه ويتفاعل معه .

إن الأسرة هى الأداة الرئيسية تقريبًا التى تنقل إلى الفرد كافة المعارف والمهارات والاتجاهات التى تسود المجتمع بعد أن تترجمها إلى أساليب عملية لتنشئته النشأة الاجتماعية . فالأسرة تنتقى من التراث الثقافى بما يحتويه من كم هائل من العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات ، تنتقى منه مايوائم ظروفها الخاصة وتقاليدها ومكانتها الاجتماعية والثقافية وبهذا تعمل الأُسرة فى تنشئة الفرد وتكوين شخصيته في اتجاهين متداخلين ؛ أحدهما هو تطبيعه بالطباع التى تتمشى مع ثقافة المجتمع بصفة عامة وثانيهما هو توجيه نموه فى داخل هذا الإطار فى الاتجاهات التى تتمشى مع ثقافة الأسرة ذاتها وباتساع المحيط الاجتماعى للطفل يتعرض لمؤثرات أخرى خارج الأسرة من زملائه فى المدرسة ورفاقه فى الملعب ومما يتفق له أن يقرأه أو يسمعه أو يطلع عليه فإذا ما خرج عن نطاق الأُسرة وأتيح له أن يبسط صلتة الاجتماعية عن طريق مهنته أوزوجته وأولاده وعن طريق الجمعيات أو النوادى والأدوار المختلفة التى يقوم بها فى هذه المجالات المختلفة تعرض لمؤثرات أخرى يكون لها بعض الأثر فى تحوير سمات شخصيته أو تهذيبها أو العمل على تركها . والفرد فى أثناء هذا التفاعل المطرد مع الكيان الاجتماعى والإطار الثقافى الذى يعيش فيه تتكون شخصيته وتنمو ويتعين شكلها ويتخذ سلوكه

نمطاً معيناً ويعتدل بفعل ما يمر به من خبرات ومعنى هذا أن الشخصية لا تتكون وتنمو إلا نتيجة لتفاعل التكوين البيولوجى للفرد مع العوامل البيئية والاجتماعية والثقافية خاصة .. حتى لقد ذهب بعض عُلماء النفس إلى أن يقرروا :أن الشخصية هى طبيعة الفرد بعد أن يحورها التفاعل الاجتماعى .
يؤكد معظم علماء النفس أن شخصية الفرد تنمو وتتطور داخل الإطار الاجتماعى والثقافى الذى يعيش فيه ويتفاعل معه.

المعروف أن الفرد يولد مُزوداً بأنواع شتى من الاستعدادات الجسمية والعصبية والنفسية ، تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من بيئته المادية والاجتماعية والثقافية على أن أهم هذه المؤثرات هى التى تأتيه من تلك الجماعة الصغيرة التى تُحيط به وترعاه فى سنواته الأولى خاصة وهى الأسرة فهى كمجتمع صغير عبارة عن وحدة حياتة، ديناميكية لها وظيفة تهدف نحو نمو الطفل نمواً اجتماعياً ويتحقق هذا الهدف بصفة مبدئية عن طريق التفاعل العائلى الذى يحدث داخل الأسرة والذى يلعب دوراً مهمًا فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه ويختلف التفاعل الاجتماعى بمعناه العام عن التفاعل العائلى فى أن هذا النوع الأخير من العلاقات الاجتماعية يمتاز بخصائص مُعينة تقوم على أسس من الود والإخاء والحرية والصراحة مع الاستمرار والدوام وتلك صفات لا نراها بوضوح فى أية علاقات اجتماعية أُخرى . إن الطفل فى هذا الجو العائلى يتعلم كيف يعيش وفيه ينمو ، وتتكون شخصيته وعاداته ، واتجاهاته ، وميوله ، وأسلوبه فى الحياة .

ولكى ينمو الطفل نمواً صحيحًا يجب أن تتوفر فى هذا الجو الأمور الآتية :

١ ـ أن يشعر الطفل أنه مرغوب فيه محبوب ، وتحقيق هذه الحاجات النفسية عن طريق الوالدين والإخوة يُعتبر الدعامة الأولى لتقوية الروابط

الوجدانية بين الأطفال وذويهم وأن طفلاً يترعرع في جو من الخوف أو الكراهية أو الإحساس بالذنب لخليق أن تنتابه نزعات عدوانية .

٢ ـ تُعتبر الأُسرة المسرح الأول الذى يُنمى فيه الطفل قُدراته ويكون ذلك عن طريق اللعب ، ومشاركته لرفاقه فى لهوهم ومسراتهم وخبراتهم . ولا شك أن للتشجيع والمُنافسة المشروعة آثارها فى نمو هذه القُدرات وتطورها ويحسن ألاّ نظلم الطفل بأمور لا يفهمها أو يصعب عليه القيام بها حتى لا يدب اليأس إلى نفسه والطفل فى السنوات الأولى يميل إلى أن نُشعره بذاتيته وبأنه فرد يستطيع أن يقوم بأعمال ، ولذلك نراه كثيراً ما يلفت نظر من حوله ليُشاهدوا ما يقوم به من أعمال ويحسن إذ ذاك أن نُعلق على هذه الأعمال بكلمات الاستحسان والتشجيع فالطفل إذ يقوم بنشاط معين إنما يُريد أن يُشبع حاجة من حاجاته النفسية وأعنى بها الحاجة إلى التقدير .

٣ ـ يستطيع الطفل فى مُحيط الأُسرة أن يتعلم كيف لا يكون أنانيًا. بمعنى أنه يتعلم كيف يحترم حقوق الغير ، كيف يتلاءم مع غيرة من أفراد الأسرة ، من الوالدين والإخوة والأقارب والخدم .

٤ ـ يتعلم الطفل فى الأسرة المبادئ الأُولى التى يسير عليها فى التعامل مع الغير ويكون ذلك عن طريق ملاحظته لسلوكهم واستجاباتهم فى المواقف المختلفة . فالأطفال فى هذه السن المُبكرة يكتشفون ويحسون بكل ما يدور حولهم، وتصدر منهم عبارات ساذجة فيها تحليل كامل لسلوك من حولهم من أفراد.

٥ ـ يقوم بعض الأطفال فى هذه السن المُبكرة ببعض الاتجاهات بطريقة لا شعورية ناتجة أساساً من أسلوب التربية الخاطئ الذى يُعَامَلونَ به . ومن هذه الاتجاهات ما يتكون نحو الوالدين.

إن الوالد فى نظر بعض الأطفال إنما هورمز للسُلطة . ويقول فى ذلك أحد عُلماء النفس :إن هذه الاتجاهات التى يكونها الأطفال فى صغرهم وما يصاحبها من شعور بالكراهية توجه فى المستقبل نحو المجتمع بصفة عامة، كما أن كثيراً من جرائم الأحداث يرجع فى أصله إلى كراهية الأطفال للسلطة.

٦ ـ ويكتسب الطفل نتيجة تفاعله وخبراته فى الأُسرة مجموعة من العادات ، عادات خاصة بالمأكل والملبس والطعام وطريقة المشى والكلام والجلوس والاستحمام والنوم ومخاطبة الناس . . إلخ .

٧ ـ وللأسرة وظيفة أخرى فعن طريقها يتعلم الطفل الكثير من العقائد والمخاوف والأفكار التى تدل على التسامح أو التعصب . وفى هذا يكرر بعض عُلماء النفس أن الاتجاهات الوالدية هى نتاج للمؤثرات الثقافية السائدة فى المجتمع فالآباء هم المصدر المباشر للمعتقدات والاتجاهات وأنماط السلوك الاجتماعى عن طريق ما يغرسونه منها فى النشء : إنهم الأساس التربوى للمجتمع . وما تقوم به المدرسة ودور العبادة وزملاء الملعب وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية إنما هو لتأكيد دور الأسرة وبلورته . . من ذلك مثلا ما قام به أحد علماء النفس الأمريكيين من دراسة أثر الآباء فى تكوين الاتجاهات العنصرية والتعصب ضد الملونيين «السود» فى الولايات المتحدة الأمريكية . وكان من بين الأسئلة التى وجهها الأطفال هى : «من الذى أخبرك بألا تلعب مع الأطفال السود ؟» ، «مانوع الأطفال الذين تحب الأم أن تلعب أنت معهم؟» ، مانوع الأطفال الذين تخبرك الأم بألا تلعب معهم؟) .

وفيما يلى بعض الإجابات التى حصل عليها الباحث :ـ

فتاة من الفرقة الأولى:

ـ «إن أمى هى التى تخبرنى بألا ألعب مع الأطفال السود، وأن أبتعد عنهم».

ـ «فتاة من الفرقة الثانية :

«إن والدىَّ يُخبرانى بألاَّ ألعب مع الأطفال الملونيين».

ـ فتاة من الفرقة الثالثة :

ـ «إن أمى أخبرتنى بألا ألعب معهم ؛لأنهم يحملون الأمراض والجراثيم ، وحتى لا تنتقل إلىَّ العدوى منهم».

ومعنى هذا أن الطفل يكتسب هذه الاتجاهات خلال حياته الاجتماعية داخل الأسرة .

★★★



الفصل التاسع

نداء إلى شباب العــــرب

ليس أيسر على الشاب من أن يحيا فى الزمان وكأن مرحلة الشباب مُجرد فترة زمنية يجتازها فى سلبية إلى مرحلة الشيخوخة، ولا شك أننا لو قسنا العُمر بالساعات والأيام والشهور لكانت مرحلة الشباب كأى مرحلة أُخرى من مراحل العمر مُجرد فترة زمنية تقبل القياس، ولكن التجربة النفسية شاهدة بكل وضوح على أن سنة من عمر الشاب لا تساوى بأى حال سنة من عمر الشيخ فإن فى الأولى من الخصوبة والنماء والثراء ما يجعلها مُختلفة عن الثانية كُل الاختلاف، وليس الزمان سُوى تلك المادة النفسية الثمينة التى قلما يفطن إلى قيمتها الإنسان اللهم إلا بعد فوات الأوان ، والواقع أنك حينما تهب شيئاً أو شخصاً جانباً من وقتك فإنك عندئذ تمنحه بضعة من نفسك وأنت حينما تضيع وقتك وتُبدد لحظات عُمرك فإنك فى الحقيقة تُضيع ذاتك وتفقد حياتك، أليس الزمان هونسيج حياتك إن لم نقل جوهر وجودك؟! وإذن فلماذا يأبى الكثير من شبابنا إلا أن يضيعوا أوقاتهم وكأن الزمان مادة تافهة لا قيمة لها؟ إن لحظات الزمان عند الكثير من شبابنا أشبه ما تكون بقطرات الماء فهى تتساقط من بين أصابعهم دون أن يعملوا على الإفادة منها أو العمل على استثمارها وهكذا تفوت الفرص ويولى الشباب دون أن يخلف وراءه سوى الحسرة على العُمر الضائع والأيام السعيدة المُنصرمة ولو أن شبابنا عرف قيمة الزمن لما فرط فى وقته واستغل كل لحظة من لحظات حياته لما فيه من تنمية شخصيته وترقية حياته النفسية وما دام الزمان النفسى لا يُقاس بالطول أو الامتداد وإنما يُقاس بالعُمق أو الثراء فتظل مرحلة الشباب هى مرحلة الإنتاج والإبداع وستبقى مرحلة وتجربة الشباب هى تجربة الخصوبة والنماء .

إن شبابنا مع الأسف يحيا فى «تسكع عقلى» وكثيراً ما يكون «الفراغ» الذى يشكو شبابنا من عجزهم عن شغله مُجرد صدى لذلك «الخواء النفسى» الذى يستشعرونه فى أعماق ذواتهم وبالتالى فإنهم قد فقدوا «مُبررات وجودهم» وأسباب بقائهم وإذا كان ثمة سيىء أشد هولا وأكثر وأقسى مرارة على الإنسان من أن يفقد حياته فذلك أن يفقد مسوغات حياته وأسباب وجوده وليس من سبيل أمام الشباب لاستعادة ثقتهم فى الحياة اللهم إلا عن طريق استرجاعهم لإِ يمانهم بقيمة «العمل» وإذا كانت الوصولية والانتهازية وشتى عوامل السهولة قد عملت على الانتقاص من قدر «العمل» فقد آن لنا الأوان اليوم لأن نعمل على وضع قيمة «العمل» فى مركز الصدارة بين القيم ولسنا نعنى بالعمل مجرد أداء الواجب لكونه واجباً، بل نحن نعنى به حُب الواجب بوصفه رسالة يحيا المرء من أجلها . لقد كان الفنان الفرنسى الكبير «أوجست رودان» يقول : إن الفنان ليقدم لنا مثالاً عظيماً جديراً بالتقدير وذلك لأنه يعشق مهنته ويرى أن أثمن مكافأة يمكن أن يظفر بها هى غبطته بتحقيق عمل جيد ولن يظفر العالم بالسعادة اللهم إلا حينما يكون الناس جميعا قد استطاعوا أن يكتسبوا روح الفنانين أعنى حينما يكونون قد عرفوا كيف يجدون لذة فى أن ينهضوا بعملهم ونحن نقول :إن شبابنا العربى أحوج ما يكون اليوم إلى الإيمان بقيمة الجُهد الصادق والعمل الجيد والأداء المُتقن والرسالة الناجحة فليس فى استطاعتنا اليوم أن ندع شبابنا ينهج مناهج الأداء السهل والجُهد الأقل والعمل الهزيل ، بل لابد لنا من أن ندعوه بكافة الوسائل إلى شن حرب شعواء على السهولة والتهاون والإهمال وشتى مظاهر التساهل مع النفس ولا شك أن تشجيع «الممتازين وفتح سبيل العمل أمام الصفوة» أمران حيويان بالنسبة إلى مُجتمع يهدف إلى خلق جيل من العاملين الفنانين ولابد فى الوقت نفسه من العمل على مُحاربة الكَسالى والمُهملين مع تقوية الوعى الجماعى للوقوف بالمرصاد فى وجه دُعاة التراخى والتهاون وإنها

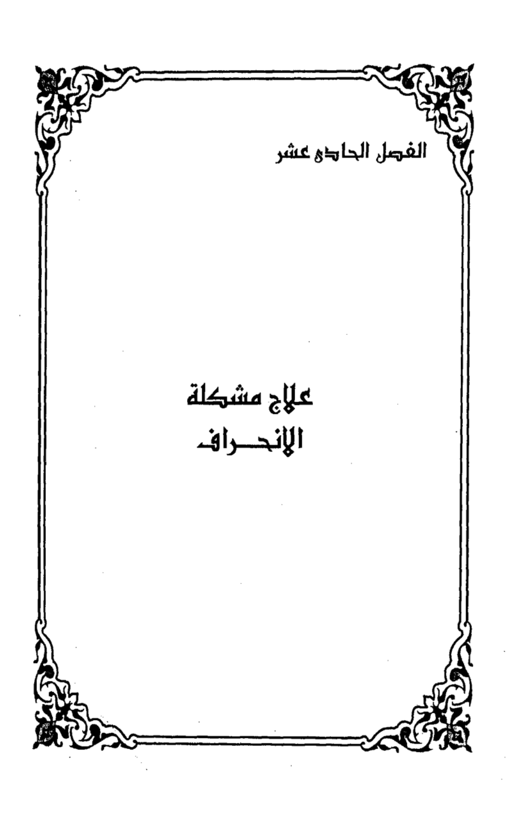
لمهمة عسيرة - في مجتمعنا العربى المعاصر أن نحاول بث روح العمل ونشر الإيمان بقيمة «العمل المُتقن في نفوس جميع أبناء الوطن العربى الكبير ولكنها تستحق بلا شك أن نحشد في سبيلها كُل القوى وأن نعبئ من أجلها شتى الطاقات على أن «العمل» الذى نتطلبه يستلزم بطبيعة الحال «استعداداً» صادقاً؛ لأننا لا نُريد لمجتمعنا جهوداً مرتجلة؛ بل أعمالاً مُنظمة وهذه الركيزة السابقة التى لابد منها لكل عمل ناجح تفترض لدى صاحبها بلا شك رغبة صادقة في تنمية الذات وترقية شتى الإمكانيات ولكننا نُلاحظ مع الأسف أن مُعظم شبابنا لا يكاد يتجاوز مرحلة التحصيل السلبى فهو كُلما يفكر في عملية التثقيف الذاتى التى هى وحدها أداة التميز ووسيلة الامتياز، ونحن لا نريد لمُجتمعنا أن يُزودنا بمتعلمين «متوسطين» لا يزيد مُعدل ثقافتهم عما تتطلبه برامج تعليم، بل نُريد له أن يمدنا بمُثقفين حقيقيين لا يضيعون بما حصلوا من معارف مدرسية، بل يسعون دائماً في سبيل صهر معلوماتهم في بوتقة حياتهم الفردية والاجتماعية وليس أخطر على المُجتمع من أنصاف المُتعلمين وأشباه المثقفين فإن هولاء دعاة الزيف الفكرى وعُملاء الانحلال الخُلقى وأما أهل الثقافة الحقيقية فهم أولائك الذين يؤمنون بالتحصيل الطويل والتمثيل السليم والتخطيط المرسوم والتنظيم المنهجى والروح العلمية الموضوعية وإذا كانت الصلة وثيقة بين العلم والأخلاق فذلك لأن (الثقافة الحقيقية» تستلزم من النزاهة والصدق والأمانة والدقة والصرامة مالا يكاد يفترق عن صفات الاستقامة والنقاء والطهارة والعدالة والإنصاف وليس في الإمكان أن نضمن لمجتمعنا علماء وباحثين وأصحاب رسائل دون أن نضمن له في الوقت نفسه أهل فضيلة ودعاة صدق ورجالات أخلاق ولابد للأخلاق أن تسير جنباً إلى جنب مع العلم .

أما بعد فقد قرأت في إحدى المجلات الأدبية ما ورد على لسان الفيلسوف الإنجليزى الكبير «برتراند رسل» قال فيه : «إن أشرف ما يجب أن ترمى إليه التربية بعد إقصاء الخوف من برامجها أن تزود الأبناء بالصراحة ؛ لأن أضرار الصدق والصراحة ـ على فرض أن لهما أضراراً ـ لا تساوى واحداً من مائة من أضرار الخوف والنفاق وعدم الصراحة » وأحسب أن شبابنا العربى فى حاجة ماسة إلى هذا الدرس القيم الذى يُلقنهم إياه شيخ الفلسفة الإنجليزية الراحل فقد عاش مُجتمعنا حقبة طويلة من الزمن على النفاق والرياء والمجاملات الكاذبة والمظاهر السطحية ، فما أحوجنا اليوم إلى جيل جديد يجابه الواقع ويواجه الحقيقة ويرفض الدجل ويحارب شتى مظاهر النفاق ، وإذا كانت السنون الطويلة التى مرت علينا فى ظل الاستعمار الأجنبى قد علمتنا الرياء والنفاق وعدم الصراحة فقد آن لنا الأوان اليوم لأن نؤمن بقيم الصراحة والصدق والنزاهة وفى اعتقادى أن الشبيبة العربية تحس إحساساً قوياً بما ينخرفى عظام المجتمع العربى من أدواء جلبتها عليه روح الرياء والنفاق ، فليس بدعاً أن نجد صيحات التطهير ترتفع من كل جانب منادية بضرورة العمل على خلق مجتمع جديد يقوم على النقاء والطهارة والسلامة الخلقية .

إننا لسنا فى حاجة إلى قيم جديدة أو معايير مستوردة بقدر ما نحن فى حاجة إلى استعادة تقاليد «إثنا العربى» المجيد وحسبنا أن نرجع إلى تاريخ حضارتنا العربية لكى نعرف إلى أى حد صار«العلم مع «الأخلاق» جنباً إلى جنب فى ركب الحضارة العربية الأصيلة ولكن ورثة هذا التراث الحضارى العظيم لم يستطيعوا مع الأسف أن يستبقوا روح التُراث وأن يُحافظوا على قيمه . فأصبح لزاماً علينا اليوم أن ننهض بُمهة بعث تلك الحضارة حتى نذكر للإنسان العربى المُعاصر بأنه صاحب دعوى وصاحب رسالة وأنه قد آن الأوان لأن

ينهض شبابنا بتحمل التبعات الواقعة على عاتقه ، لا نحو نفسه فحسب بل نحو مُجتمعه أيضاً .. كما أنه يجب أن يرى بعينه ويزن بعقله لتخرج أعماله صحيحة وسليمة وليس فيها إرهاب أو انحراف بل يكون فيها استقامة سليمة على الفطرة الإسلامية الحقة كما جاء بها سيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ .





الفصل الحادي عشر

علاج مشكلة الانحراف

علاج الانحرافات

علاج الإدمان...والمُخدرات

المخدرات .. ذلك الغول الحقيقى الذى يسعى لخراب المُجتمعات .. ذلك التنين الذى ينفث النار من فمه فى كُل شاب ، وكُل مجتمع ... يجب على الدول أن تتضافر جهودها ، ونعنى هُنا مُعظم مُجتمعات العالم فى الوقت الحالى ، للقضاء على نوعين من المخدرات وهما «أولاً : مكافحة المخدرات» .. «ثانياً : مكافحة المتعاطين» .

ونجد أن النوع الأول يُسمى «العرض على المخدرات» وهى الجهود التى ترمى إلى مُكافحة التهريب والتصنيع والزراعة والاتجار والتوزيع والحيازة غير المشروعة للمواد المخدرة غير المشروعة. ويُطلق على النوع الثانى «الطلب على المخدرات» وهذه تُشير إلى جميع السياسات والإجراءات التى تستهدف خفض أو إنقاص رغبات المستهلكين وجهودهم «أى المتعاطين» فى سبيل الحصول على المواد المخدرة إلى أدنى درجة مُمكنة .

ويُلاحظ القارئ أن هذا التصنيف يقوم أساساً على افتراض أن المخدرات سلعة كسائر السلع يخضع التعامل فيها « فى السوق غير المشروعة» للعوامل التى تحكم العلاقة بين العرض والطلب ، ومن ثم يستنتجون أنه إذا قل الطلب عليها فسوف يُصيبها الكساد ، ولذلك يدعون إلى عدم الاقتصار فى مقاومتها على المكافحة فى جبهة العرض فحسب ، بل لابد من جهود تبذل أيضاً فى جبهة الطلب .

وهذا هو التوجه الذى تتبناه الآن مُنظمات الأمم المُتحدة المعنية بمشكلة المخدرات. ففى الجلسة الثانية والثلاثين للجنة المُخدرات التابعة للأُمم

المُتحدة، والمُنعقدة فى فينيا فى الفترة من ٢ -١١ فبراير عام ١٩٨٧م «رأى مُعظم الأعضاء والمراقبين ضرورة أن يتوافر فى أى برنامج يهدف إلى التحكم فى المواد النفسية، أن يتوافر فيه التوازن بين إجراءات لخفض العرض، وإجراءات لخفض الطلب غير المشروع بالنسبة لهذه المواد النفسية» وهدفنا فى هذا الفصل أن نعرض للقارئ صورة موجزة للجهود المُختلفة التى تُبذل فى الجبهتين، جبهة مكافحة العرض، وجبهة خفض الطلب، وجدير بالذكر أننا سوف نقتصر فى حديثنا على ما يُمكن اعتباره المقامات المُشتركة وراء هذه الجهود فى مُعظم دول العالم، سواء كانت هذه المقامات المشتركة مُتحققة فعلاً، أو كانت فى سبيلها إلى التحقق «لأن الدعوة إلى ذلك تأتى صريحة فى الإعلانات الصادرة عن المُنظمات الدولية، وبصورة خاصة هيئة الأمم المُتحدة وما يتفرع عنها من منظمات».

مكافحة العرض

يقوم النموذج الأساسى لجهود مكافحة العرض، فى مُعظم دول العالم على ثلاث دعائم، هى: المكافحة الأمنية، والقانون، والمشاركة فى الاتفاقات الدولية والإقليمية «والثنائية أحياناً». وفيما يلى عرض لكلٍ من هذه الدعائم الثلاث بإيجاز.

١. المكافحة الأمنية:

يقوم التخطيط الأساسى لهذه المُكافحة على مُطاردة المُخدر وتعقبه فى داخل الوطن، وعلى حدوده. وفى التجربة المصرية تُعتبر الإدارة العامة لمكافحة المخدرات هى الجهاز الرئيسى فى الدولة لتنظيم هذه الجهود. وهى تقوم بعملها بالتنسيق مع عدد من أجهزة الدولة، منها قوات حرس الحدود

«وزارة الدفاع» ، ومصلحة الجمارك «وزارة المالية» ، والإدارة المركزية للشئون الصيدلية «وزارة الصحة»، والإدارة العامة للدفاع الاجتماعي «وزارة الشؤون الاجتماعية» بالإضافة إلى عدد من أجهزة الشرطة . ويدخل في نطاق مسئولياتها كذلك التنسيق مع الأجهزة المعنية بمكافحة المخدرات بهيئة الأمم المُتحدة ، بالإضافة إلى مُنظمة الشُرطة الجنائية الدولية «الإنتربول» وتشتمل الجهود الأمنية التي تقوم بها إدارة المكافحة بالتعاون مع الأجهزة المذكورة على ما يأتي :

ضبط المخدرات على المستوى المحلي، والضبط بالتعاون مع إدارة المكافحة بعدد من الدول، وملاحقة الهاربين من الأحكام القضائية في قضايا التهريب على المستويين المحلي والدولي .

حصر ثروات عدد من كبار التُجار والمُهربين وتقديم نتائج الحصر للجهات القضائية المُختصة ، والمُشاركة في دراسة، وإعداد مجموعة من الاتفاقيات الدولية، والمشاركة في المؤتمرات الدولية الخاصة بالمكافحة، وتبادل المعلومات مع الأجهزة الدولية المختصة بالنشاط المُحرَّم حول المخدرات .

هذه نظرة إجمالية نُلقيها على جهود المكافحة الأمنية للمخدرات ، وعلى الأجهزة التي تتعاون فيما بينها لإنجازها ، ولا يكاد يختلف هذا النمط كثيراً من دولة إلى دولة ، وبخاصة فيما يتعلق بالدول التي تنتظمها مُنظمات عالمية واتفاقات دولية وجدير بالذكر في هذا المقام أن الإدارة العامة للمكافحة في مصر حرصت مُنذ نشأتها في عام ١٩٢٩م على أن تنشر تقريراً سنوياً تُسجل فيه جميع نشاطاتها على اختلاف أنواعها، المحلية والدولية ، مع تحليلات لأحكام القضاء في قضايا المخدرات ، هذا بالإضافة إلى قوائم بإحصاءات

مُفصلة عن المضبوط من المُخدرات «الأنواع والمقادير» كُل عام . وتكون هذه التقارير فى مجموعها مكتبة مُتخصصة مُمتازة فى مجال المكافحة الأمنية للعرض .

القانون «التشريعات»

يتضح لمن ينظر عن قُرب فى تاريخ مجابهة الدولة «مُعظم دول العالم» لمشكلة المخدرات أن المُشرع لا يدخر جُهداً فى استخدام القانون كأداة بالغة الأهمية فى إدارة دفة هذه المجابهة. ويستطيع القارئ الذى يطلب الاستزادة فى هذا الصدد أن يجد الدراسات الجادة التى تعرض لقوانين مكافحة المخدرات فى عدد من البُلدان العربية والأوربية وقد بدأت التجربة المصرية فى استخدام القانون فى هذا المجال، فى وقت مُبكر نسبياً، وذلك عندما صدر أمر هام عام ١٨٧٩م بتحريم استيراد وزراعة القنب. ثم توالت التشريعات بعد ذلك حتى جاء أحدثها بصدور القانون رقم ١٢٢ لعام ١٩٨٩م.

أما التجربة الإنجليزية فيؤرخ لها بأنها بدأت فى عام ١٨٦٩م بصدور أول قانون لتنظيم التعامل فى الأدوية الطبية، فكان هذا هو أول قانون يضع قيوداً على التعامل فى الأفيون ومشتقاته باعتباره أحد الأدوية التى كان الأطباء يستعملونها فى ذلك الوقت . ثم توالى صدور التعديلات والإضافات بعد ذلك فى السنوات ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٢ و ١٩١٦ و... إلى أن صدر قانون عام ١٩٨٦م .

وجدير بالذكر أن هذه التعديلات والإضافات المتوالية، سواء فى إنجلترا أو مصر إنما تفرضها طبيعة مُشكلة المخدرات فى أى مُجتمع ، فهى لا تكف

عن التغيير ، سواء فيما يتعلق بأنواع المواد المُخدرة التى تظهر فى السوق غير المشروعة، أو فيما يتعلق بأساليب التهريب والاتجار والترويج، أو فيما يتعلق بالأخطار التى يتعرض لها المواطنون والشرائح الاجتماعية المستهدفة. ومن ثم لا يجد المُشرع بُداً من معاودة التعديل والإضافة للتشريعات القائمة ، فى محاولة دائبة لجعلها مكافئة لما يطرأ على سوق العرض غيرالمشروع من تطورات .

الاتفاقيات الدولية والإقليمية

تُعتبر الاتفاقات الدولية والإقليمية والثنائية بما تُقننه من إجراءات وما تُنشئه من أجهزة هى الآلية الثالثة التى تستخدمها الدولة الحديثة فى تصديها لمكافحة عرض المخدرات. وقد بدأت فاعلية هذه الاتفاقات تظهر بصورة واضحة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وإنشاء عُصبة الأُمم ، والدلالة الحقيقية للاتفاقات الدولية هى أنها ترسم فى مجموعها شبكة من العلاقات القانونية تحدد مسارات المساعدة المتبادلة بين الدول المصدقة عليها لزيادة تمكين هذه الدول من التغلب على مُشكلة المخدرات سواء بزيادة كفاءة المكافحة داخل أراضيها، أو بالتعاون مع الغير على التصدى لها فى أبعادها الدولية، وذلك بالتعاون مثلاً فى مُراقبة الهاربين من المُتهمين وتبادل تسليمهم، وتبادل المعلومات عن التشكيلات العصابية ذات النشاط الدولى.

ومن أهم الاتفاقات الدولية وأحدثها فى هذا الشأن «الاتفاقية الوحيدة للمخدرات» الصادرة عام ١٩٦١م، «واتفاقية المواد النفسية الدوائية» الصادرة عام ١٩٧١م، «والاتفاقية الدولية للإتجار غير المشروع فى المخدرات والمواد المخدرة الدوائية» لعام ١٩٨٨م.

ومن الاتفاقيات الإقليمية التى تُذكر فى هذا الصدد اتفاقية التعاون القانونى والقضائى بين دول مجلس التعاون العربى «الأردن والعراق ومصر واليمن عام ١٩٨٩م» والوثيقة المعروفة باسم «الاستراتيجية العربية لمكافحة الاستعمال غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية» الصادرة عن مجلس وزراء الداخلية العرب، التابع لجامعة الدول العربية فى ٢ ديسمبر عام ١٩٨٦م. ومن الاتفاقيات الثنائية فى هذا الصدد البروتوكول الموقع بين الحكومتين المصرية والأردنية بتاريخ ٢٦ أكتوبر عام ١٩٨٦م بشأن التعاون فى مجال مكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات النفسية .

وفيما يلى نقدم بضعة أمثلة مما ورد فى بعض هذه الوثائق لكى يُدرك القارئ بوضوح أهمية هذه الاتفاقات الدولية والإقليمية كآلية مُكملة لسائر الآليات التى تستعين بها الدولة على مواجهة مُشكلة المخدرات بأعلى قدر ممكن من الكفاءة . فقد وردت العناصر الآتية فى الاتفاقية الوحيدة لعام ١٩٦١م .

أ ـ التحريم الدولى لإنتاج الأفيون والكوكايين والقنب «الحشيش» لغير الأغراض الطبية والعلمية .

ب ـ إنشاء هيئة الرقابة الدولية على المخدرات، وهى تابعة للأُمم المتحدة.

ج ـ وضع تنظيم شامل للتجارة الدولية للمخدرات ، يهدف إلى السيطرة على الحركة المشروعة للمواد المخدرة وعدم تسربها إلى السوق غير المشروعة .

ومن العناصر التى وردت في اتفاقية المواد المخدرة الدوائية لعام ١٩٧١م ما يأتى :

تقوم كُل دولة بإرسال التقارير والإحصائيات السنوية لهيئة الصحة العالمية عن الكميات المُصنعة والمُصدرة والمستوردة من كُل مادة من المواد المخدرة، وكذلك عن المخزون الموجود بالمصانع، وكذلك عن الكمية المُصنعة من أية مادة من المواد المدرجة على الجدولين الثالث والرابع الملحقين بهذه الاتفاقية . والكميات المُستخدمة من هذه المواد فى صناعة المستحضرات المستثناة من أحكام الرقابة .. إلخ .

وفى اتفاقية الاتجار غير المشروع لعام ١٩٨٨م جاء فى البند رقم ٢ من المادة السادسة الخاصة بتسليم المُجرمين ما نصه : «تُعتبر كُل جريمة من الجرائم التى تنطبق عليها هذه المادة مُدرجة كجريمة يجوز فيها تسليم المُجرمين فى أية معاهدة لتسليم المُجرمين سارية فيما بين الأطراف . وتتعهد الأطراف بإدراج تلك الجرائم فى عداد الجرائم التى يجوز فيها تسليم المُجرمين فى أية مُعاهدة لتسليم المُجرمين تُعقد فيما بينها » .

وتوجد عشرات الأمثلة من قبيل هذه النماذج التى قدمناها توجد فى الاتفاقات الدولية المُشار إليها .

وهى جميعاً تؤكد وظيفتها الرئيسية فى استغلال جميع إمكانات التعاون الدولى فى سبيل تحقيق المزيد من تحكم الدولة الحديثة فى مُشكلة المخدرات. وما نجده فى الاتفاقيات الدولية نجد ما يُشبهه وأحياناً ما يكمله فى الاتفاقات الإقليمية والثُنائية .

★★★

خفض الطلب

والمقصود بخفض الطلب هو المنع أو الإقلال من تعاطي المخدرات وينطوي النموذج الأساسي لموضوع خفض الطلب على ثلاثة مكونات رئيسية هي :

١ - الوقاية

٢ - العلاج

٣ - إعادة التأهيل .

وفيما يلي نستعرض بإيجار، ما المقصود بكل من هذه العناوين الثلاثة؟ وكيف يكون إسهام كُلٍ منها في تحقيق الهدف الرئيسي المطلوب، وهو خفض أو منع الطلب على المواد المخدرة غير المشروعة .

١. الوقاية :

اكتشفت المُجتمعات الإنسانية مُنذ وقت مُبكر أن اللجوء إلى إجراءات الوقاية يُعتبر خطوة بالغة الأهمية في مجال التصدي لكثير من المُشكلات الاجتماعية . والاضطرابات الصحية النفسية والبدنية . وقد انعكس ذلك في كثير من الحكم الشعبية التي يصل بها الأمر إلى التوصية بتقديم العناية بالوقاية على العناية بالعلاج .

ويُعتبر ميدان التعاطي والإدمان من أنسب الميادين للأخذ بهذا التوجه، فخير للدولة وللمواطنين مائة مرة أن يُبادروا إلى اتخاذ إجراءات الوقاية في هذا الميدان بكل ما استطاعوا من جُهد وإنفاق عن أن ينتظروا حتى تبرز معالم مشكلة التعاطي والإدمان في عُقر دارهم ليبدأوا بعد ذلك خطوات العلاج . . .

ونجد أن إجراءات الوقاية أقل تكلفة من حيث المال اللازم ، وأقل مشقة من حيث الجُهد المطلوب ، ثم إنها أسلم عاقبة من الانتظار حتى تبلغ مُشكلة التعاطى والإدمان أبعاداً مُعينة تكفى لإقناع المسئولين بالسير فى طريق وضع البرامج وإقامة المؤسسات العلاجية وتيسير السُبل لتشغيلها .

والمقصود بمصطلح الوقاية : الإشارة إلى أى فعل مُخطط ، نقوم به تحسباً لظهور مُشكلة معينة أو مضاعفات لمشكلة كانت قائمة أصلاً ، وذلك بغرض الإعاقة الجزئية أو الكاملة للمشكلة أو لمضاعفاتها ، أو للمشكلة والمضاعفات معاً .

٢. العلاج:

موضوع علاج المُدمنين ، مدمنى المخدرات أو المواد النفسية عموماً ، موضوع شديد التعقيد ، وذلك لتعدد جوانبه وتشابكها مع موضوعات أُخرى لا يمكن تجاهلها فى هذا السياق . ولذلك يُستحسن أن يبدأ الحديث فى هذا الصدد بطرح سؤال مهم وهو :

- هل المُدمن مريض أم مذنب ؟
- فإذا كان مريضاً .. فلماذا العقاب ؟

وذلك مثل ما جاء فى المادة ٣٧ من قانون رقم ١٢٢ لعام ١٩٨٩ م .

- وإذا كان مُذنباً فما معنى العلاج ؟

ومع أن الإجابة الشافية عن هذا السؤال غير مُمكنة فى هذا المقام ، والطريق إلى الإجابة هُنا يبدأ بضرورة التفرقة بين الحديث عن «الإدمان» والحديث عن أى مرض بالمعنى الطبى المُعتاد ، فأحد الجوانب المُهمة فى المفهوم الطبى الأساسى للمرض التسليم بأن المريض ضحية للعُنصر الفعال

فى المرض « وهو الفيروس، أو الميكروب، أو .. إلخ» وهو أمر لا ينطبق على «الإدمان» ؛لأن عُنصراً أساسياً فى مفهوم الإدمان يتمثل فى السعى الإيجابى من جانب المُدمن للحصول على العُنصر الفعال «وهو المُخدر» فى إدمانه .

صحيح أن هذا يحدث بدرجات متفاوتة فى الحالات المُختلفة فى ظل تعقيدات الظروف والمواقف الاجتماعية المتباينة.

ولكنه يحدث على كُل حال بصورة تميزه تماماً من وقوع المريض « بالمعنى الطبى الأساسى» فريسة للمرض .

هذا هو جوهر التفرقة بين المُدمن والمريض . وعلى هذا الأساس تبنى مسئولية المُدمن عن إدمانه فى نظر المُجتمع والقانون، ولكن من ناحية أُخرى فإن وجه الشبه الرئيسى بين الإدمان والمرض هو القهر الذى يقع على الضحية ، فلا المريض ولا المُدمن يستطيع أى منهما أن يتغلب على الحالة التى تستبد به ، ولابد من تدخل خارجى للمعاونة فى تحقيق التغلب المطلوب.. وهنا نسأل سؤالا مهمًا من المسئول عن العلاج ؟

هل الدولة هى المسئولة . أم أهل المريض؟ بالطبع الدولة هى المسئولة عن العلاج؟ ذلك لأن الشباب هو أساسها، وبدونه لا تقوم للدولة قائمة وبالتالى فإن الشباب هم الثروة الأساسية التى يجب أن تسعى الدولة للحفاظ عليه .. وبالتالى نرجو زيادة المستشفيات والمستوصفات المخصصة لعلاج الإدمان كى يخرج الشاب المصرى من هم الإدمان ومشاكله، التى غمسته فيه قُوى غريبة مُعادية .

٣. إعادة التأهيل:

فى مجال علاج التعاطى والإدمان يُستخدم مُصطلح «إعادة التأهيل» أحياناً استخداماً شديد الاتساع ليضم ما يوصف بأنه إعادة التأهيل المهنى والاجتماعى .

وفى هذه الحالة يُترك المجال الاجتماعى ليندرج تحت مُصطلح خاص به ، وهو «إعادة الاستيعاب الاجتماعى» ، وفى هذا المقام سوف نتحدث أولاً عن «إعادة التأهيل المهنى»

إعادة التأهيل المهنى

والمقصود هُنا بالضبط هو العودة بالمُدمن «وسوف نُسميه من الآن فصاعداً بالمُدمن توضيحاً ؛ لأنه يكون عندئذ فى مرحلة النقاهة من إدمانه» إلى مستوى مقبول من الأداء المهنى ، سواء كان ذلك فى إطار مهنته التى كان يمتهنها قبل الإدمان أو فى إطار مهنة جديدة . وتتضمن إجراءات إعادة التأهيل فى هذا الصدد ثلاثة عناصر هى :

١ ـ الإرشاد المهنى ، وقياس الاستعداداث المهنية .

٢ ـ التوجيه المهنى .

٣ ـ التدريب الجيد والمُتقن .

١ ـ ويُشير مُصطلح الإرشاد المهنى إلى العلاقة التى تنشأ بين شخصين يحاول أحدهما «وهو المرشد» مساعدة الآخر «وهو المُسترشد» ، على أن يفهم المشكلات الخاصة بالتوافق مع متطلبات مجال بعينه ، وأن يتغلب عليها .

٢ ـ ويأتى الدور على قياس الاستعدادات المهنية، ويُشير مُصطلح الاستعداد كما يستخدمه عُلماء النفس إلى درجة احتمال نجاح الفرد فى مجال مُعين من مجالات النشاط الإنسانى، كالتجارة أو الصناعة أو الأعمال المكتبية .. إلخ .

٣ ـ والتوجيه المهنى هو مجموع الإجراءات التى تتخذ استغلالاً للمعلومات التى تجمعت عن المُدمن من خلال الإرشاد ومن خلال قياس استعداداته المهنية ، فيجرى توجيهه إلى الالتحاق بالمهنة التى تتناسب وهذه المعلومات .

٤ ـ بالنسبة للتدريب فنجد أنه فى المُجتمعات المتقدمة وبخاصة المُجتمعات الأنجلو أمريكية ، يتوافر لكثير من الأعمال التى تقوم عليها الصناعات الحديثة بيان بمجموعة المهارات، ومستويات كُلٍ منها، التى تلزم لإتقان هذه الأعمال. ويجرى تحديد هذا البيان نتيجة لتحليلات عملية يتعاون فى إجرائها المهندسون وعُلماء النفس الصناعيون وتكون مُهمة التوجيه المهنى فى نهاية المطاف المضاهاة بين نتائج قياس استعدادات الشخص المُتقدم للالتحاق بهذا العمل أو ذاك. ويتخذ قرار الالتحاق أو الرفض «أو التدريب» بناء على نتيجة هذه المضاهاة .

إعادة الاستيعاب الاجتماعى

إعادة الاستيعاب الاجتماعى هى الخطوة الأخيرة والمُكملة لإجراءات الرعاية اللاحقة التى تتناول المُدمن . ولا يُشترط بالضرورة أن تأتى زمنياً بعد خطوة إعادة التأهيل المهنى، بل يمكن تصور أن تتزامن الخطوتان. ولكن المُهم أنه لا يجوز تجاهلها فى نسبة كبيرة من الحالات، وخاصة تلك التى

تمكن منها الإدمان إلى درجة الاقتران بأشكال ودرجات خطيرة من التدهور الاجتماعى .. ذلك لأن المُجتمع ينظر إلى المُدمن على أنه شخصية مُبتذلة ولكن يجب تغيير تلك النظرة ، حيث إنه بعد أن امتنع عن المخدرات أصبح صحيحاً وإنساناً سوياً .. ولكن ما يتبقى فى الأذهان لدى الناس هو ما يعتبر خطيرا ، حيث إنهم لا ينسون أبداً أنه كان مُدمناً .. وهذا الشىء قد يؤثر بالسلب على شخصيته مما قد يُجبره على الإدمان مرة أُخرى للتخلص من نظرة الناس إليه .

الخلاصة

الإرهاب والانحراف خطران يجب الحرص منهما والابتعاد عنهما بقدر الإمكان ، حيث إن ذلك الشىء الذى يُسمى الإرهاب هو ثُعبان جميل الشكل يُزين القتل والسرقة باسم الدين ، والدين منه براء .

أما ذلك الشىء الآخر المُسمى بالانحراف فهو خطر داهم يواجه المجتمع العربى عامة، والمُجتمع المصرى خاصة ، وهو ثُعبان بشع نتن الوجه قبيح المنظر وجب على شبابنا الابتعاد عنه .



المراجع

١ ـ الإرهاب المرفوض والإرهاب المفروض. أ/ حسن دوح .

٢ ـ كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة. أ/إبراهيم نافع

٣ ـ الشخصية في سوائها وانحرافها. د/ مصطفى فهمى

٤ ـ المخدرات بين الطب والفقه د/ أحمد على طه ريان

٥ ـ الإعلام ... والمخدرات د / نوال محمد عمر

٦ ـ المخدرات والمجتمع ... نظرة تكاملية د/ مصطفى سويف

المحتويات

هذا الكتاب

الإرهاب شبح قاتل دمر العديد من شبابنا .

الإنحراف وحش قاتل قبيح المنظر ينفث النار من فمه ليُدمر شبابنا .

الشباب حماس وقوة زائدة إذا وجهها إلى البناء تقدمت الأمة ، ولكن ينفلت من عقال التقدم شرذمة قليلة تندفع دون تروٍ فى تيارات هدامة مثل الانحراف والإرهاب .

ومن أجل ذلك جاء دور ذلك الكتاب كى يكون الأخ والصديق الذى يصحب الشاب إلى بر الأمان ، ويخرج به من براثن الإرهاب وفتك الانحراف ، إلى عالمنا الجميل الذى نعيش فيه ، وكى تستفيد الأمة بطاقات الشباب وترتقى سُلم التقدم أكثر فأكثر .

والله ولى التوفيق

الناشر

دار الأمل
للنشر والتوزيع

25